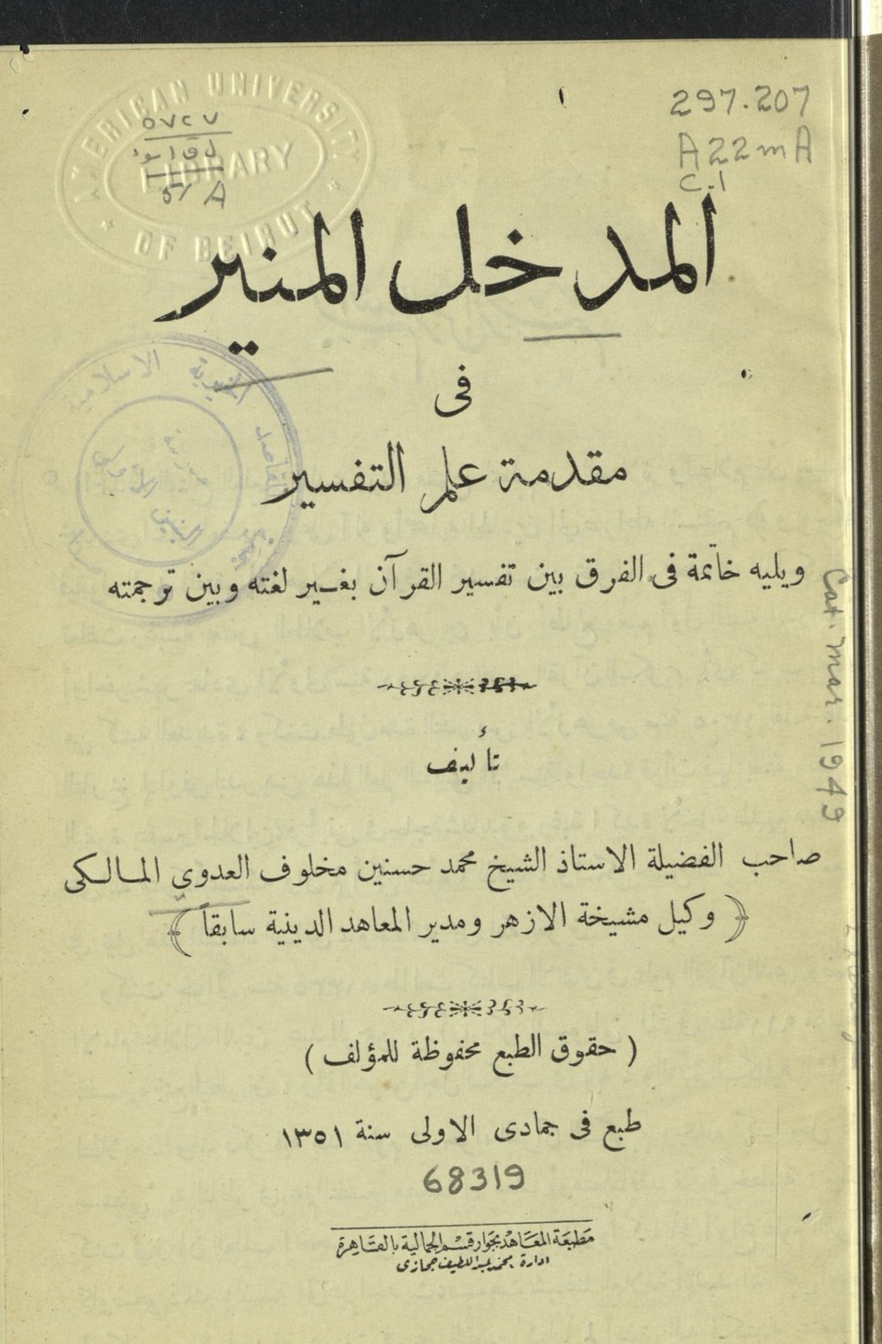


المدخل المنير

فى

مقدمة علم التفسير

ويليه خاتمة فى الفرق بين تفسير القرآن بغير لغته وبين ترجمته

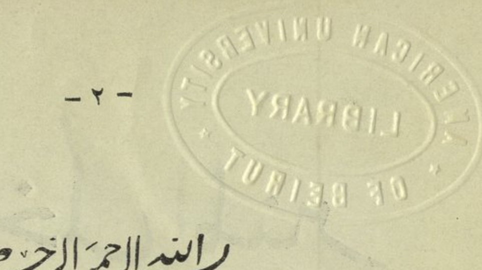
تأليف

صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي المالكى

(وكيل مشيخة الازهر ومدير المعاهد الدينية سابقاً)

طبع فى جمادى الاولى سنة ١٣٥١

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بالقاهرة
ادارة محمد عبد اللطيف حجازى



الحمد لله الفتاح العليم . الذى بيده مفتاح التعليم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي الخلق العظيم . وعلى آله وأصحابه الهادين الي صراطه المستقيم ﴿ وبعد ﴾ فيقول العبد المفتقر إلى مولاه الرءوف. محمد حسنين مخلوف . العدوى المالكى قد تعلقت رغبة بعض الطلاب الأزهريين بأن أطالع معهم أول السنة الدراسية أواخر شهر جمادي الأولى سنة ١٣٥١ ﻫ تفسير القرآن الكريم بأي كتاب يختار من كتبه العديدة ، وكنت طول مدة التدريس بالأزهر من سنة ١٣٠٥ لغاية هذا التاريخ لم اوفق لتدريس هذا العلم النفيس الا سنة واحدة قرأت فيها بعض سورة البقرة بتفسير الجلالين، فرأيتنى فى حاجة شديدة و رغبة اكيدة لأجابة طلبهم معتمداً على الله متبركاً بمشيئته وان لم أكن متأهباً لذلك ، ولكن حسن الظن بالله اطمعني في نيل هذا المقصد السامى ، وما ذلك على الله بعزيز

وكنت حوالى سنة ١٣٣٥ﻫ طالعت كتاب الاتقان فى علوم القرآن الذى وضعه الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ مقدمة لتفسيره مجمع البحرين ، واذا هو من أجل الكتب فى بابه ، والعدة الكافية الشافية لطلابه . وقد ذكر فيه عدة علوم مما حواه القرآن الكريم وجعله كمدخل عام يستضيء به الناظر فى علم التفسير مصنفا أو معلما أو متعلما فقد قال فى خطبته : ولقد كنت في زمان الطلب اتعجب من المتقدمين ، اذ لم يدونوا كتاباً فى أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة الى علم الحديث، فسمعت شيخنا العلامة أبا عبد الله محي الدين الكافيجي يقول : قد دونت فى علم التفسير كتاباً لم أسبق اليه فكتبته عنه فاذا

هو صغير الحجم جداً وحاصل مافيه بابان : الأول فى ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية ، والثانى فى شروط القول فيه بالرأي ، وبعدهما خاتمة فى آداب العالم والمتعلم فلم يشف لى ذلك غليلا ، ولم يهدنى إلى المقصود سبيلا ، ثم أوقفنى شيخنا قاضي القضاه علم الدين البلقيني رحمه الله تعالى على كتاب فى ذلك لاخيه قاضى القضاه جلال الدين سماه مواقع العلوم فى مواقع النجوم ، فرأيته تأليفاً لطيفاً ومجموعاً ظريفاً ذا ترتيب وتقرير وتنويع وتحبير وسرد ما اشتمل عليه من انواع العلوم فبلغت خمسين علماً ، ثم لاحظ عليه بانه تكلم فى كل نوع منها بكلام مختصر يحتاج الى تحرير وتمات وزوائد مهمات. فكان ذلك باعثاً له على تصنيف كتاب سماه التحرير فى علوم التفسير ضمنه ماذكره البلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها ، وأضاف اليه فوائد سمحت القريحة بنقلها. ثم سرد مااشتمل عليه من الانواع فبلغت مائة نوع واثنين ، ثم خطر له بعد ذلك أن يؤلف كتاباً مبسوطاً ومجموعاً مضبوطاً يسلك فيه طريق الاحصاء ، ويمشى فيه على منهاج الاستقصاء ، وبينما هو يجيل فى ذلك فكراً ، يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، اذ بلغه ان للشيخ الامام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى كتاباً فى ذلك حافلا يسمى البرهان فى علوم القرآن ، فتطلبه حتى وقف عليه فوجده قال فى خطبته : لما كانت علوم القرآن لا تحصى ، ومعانيه لا تستقصي وجبت العناية بالقدر الممكن ، ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث فاستخرت الله تعالي وله الحمد في وضع كتاب فى ذلك جامع لما تكلم الناس فى فنونه ، وخاضوا فى نكته وعيونه ، وضمنته من المعانى الأنيقة ، والحكم الرشيقة مابهر القلوب عجباً ، ليكون مفتاحا لأبوابه ، عنواناً على كتابه ، معيناً للمفسر على حقائقه ، مطلعاً على بعض أسراره ودقائقه . وسميته البرهان فى علوم القرآن . قال : وهذه فهرست أنواعه وسردها فبلغت سبعة وأربعين نوعا ، ثم قال : ولما وقفت على هذا الكتاب ازددت به سروراً ، وحمدت الله كثيراً ، وقوى العزم على إبراز ماأضمرته ، وشددت الحزم

فى إنشاء التصنيف الذى قصدته ، فوضعت هـذا الكتاب العلى الشان ، الجلى البرهان ، الكثير الفوائد والاتقان ، ورتبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان ، وأدمجت بعض الأنواع فى بعض ، وفصلت ما حقه أن يبان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد ، والقواعد والشوارد يشنف الآذان . وسميته بالاتقان ، فى علوم القرآن . وسترى فى كل نوع منه إن شاء الله تعالى ما يصلح لأن يكون بالتصنيف مفرداً ، وستروى من مناهله العذبة رياً لاظمأ بعده أبداً ، وقد جعلته مقدمة للتفسير الكبير الذى شرعت فيه ، وسميته بجمع البحرين ، ومطلع البدرين الجامع لتحرير الرواية ، وتقرير الدراية ، ومن الله أستمد التوفيق والهداية ، والمعونة والرعاية ، إنه قريب مجيب ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب . وهذه فهرست أنواعه ، وسردها رضى الله عنه في خطبة كتابه قبل الشروع فى المقصود فكانت ثمانين نوعا

﴿ أنواع العلوم التى اشتمل عليها كتاب الاتقان ﴾

النوع الأول معرفة المكي والمدنى . الثاني معرفة الحضرى والسفرى . الثالث النهارى والليلى . الرابع الصيفي والشتائي . الخامس الفراشى والنومى . السادس الأرضى والسماوى . السابع أول ما نزل . الثامن آخر ما نزل . التاسع أسباب النزول . العاشر ما نزل على لسان بعض الصحابة . الحادى عشر ما تكرر نزوله . الثانى عشر ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه . الثالث عشر معرفة ما نزل مفرقا وما نزل جمعاً . الرابع عشر ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً . الخامس عشر ما نزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبى صلى الله عليه وسلم . السادس عشر فى كيفية انزاله . السابع عشر فى معرفة أسمائه وأسماء سوره . الثامن عشر فى جمعه وترتيبه . التاسع عشر فى عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه . العشرون فى حفاظه ورواته . الحادى والعشرون فى العالي والنازل . الثانى والعشرون فى معرفة المتواتر . الثالث والعشرون فى المشهور . الرابع والعشرون

فى الآحاد . الخامس والعشرون فى الشاذ . السادس والعشرون الموضوع .
السابع والعشرون المدرج . الثامن والعشرن فى معرفة الوقف والابتداء . التاسع
والعشرون فى بيان الموصول لفظاً المفصول معني . الثلاثون فى الامالة والفتح وما
بينهما . الحادي والثلاثون فى الادغام والاظهار والاخفاء والاقلاب . الثانى
والثلاثون فى المد والقصر . الثالث والثلاثون في تخفيف الهمزة . الرابع والثلاثون
فى كيفية تحمله . الخامس والثلاثون فى آداب تلاوته . السادس والثلاثون فى معرفة
غريبه . السابع والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز . الثامن والثلاثون فيما وقع
فيه بغير لغة العرب . التاسع والثلاثون فى معرفة الوجوه والنظائر . الأربعون فى
معرفه معانى الأدوات التى يحتاج اليها المفسر . الحادي والأربعون في معرفة
اعرابه . الثانى والأربعون في قواعد مهمة يحتاج المفسر الى معرفتها . الثالث
والأربعون في المحكم والمتشابه . الرابع والأربعون فى مقدمه ومؤخره . الخامس
والأربعون فى خاصه وعامه . السادس والأربعون فى مجمله ومبينه . السابع
والاربعون فى ناسخه ومنسوخه . الثامن والأربعون في مشكله وموهم الاختلاف
والتناقض. التاسع والأربعون فى مطلقه ومقيده . الخمسون فى منطوقه ومفهومه .
الحادي والخمسون فى وجوه مخاطباته . الثانى والخمسون فى حقيقته ومجازه . الثالث
والخمسون فى تشبيهه واستعاراته . الرابع والخمسون فى كناياته وتعريضه . الخامس
والخمسون فى الحصر والاختصاص . السادس والخمسون فى الايجاز والاطناب .
السابع والخمسون في الخبر والانشاء . الثامن والخمسون فى بدائع القرآن . التاسع
والخمسون فى فواصل الآى. الستون في فواتح السور . الحادى والستون فى خواتم
السور . الثاني والستون فى مناسبة الآيات والسور . الثالث والستون فى الآيات
المشتبهات . الرابع والستون فى إعجاز القرآن . الخامس والستون فى العلوم المستنبطة
من القرآن . السادس والستون في أمثاله . السابع والستون في أقسامه . الثامن
والستون فى جدله . التاسع والستون في الأسماء والكني والالقاب . السبعون

فى مبهماته . الحادي والسبعون فى أسماء من نزل فيهم القرآن . الثانى والسبعون فى فضائل القرآن . الثالث والسبعون في أفضل القرآن وفاضله . الرابع والسبعون فى مفردات القرآن . الخامس والسبعون فى خواصه . السادس والسبعون فى رسوم الخط وآداب كتابته . السابع والسبعون فى معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة اليه . الثامن والسبعون فى شروط المفسر وآدابه . التاسع والسبعون فى غرائب التفسير . الثمانون في طبقات المفسرين. ثم قال : فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الادماج ولو نوعت باعتبار ما أدمجته فى ضمنها لزادت على الثلثمائة وغالب هذه الانواع فيها تصانيف مفردة وقفت على كثير منها وكلها بالنسبة الي نوع هذا الكتاب كحبة رمل فى جنب رمل عالج ، ونقطة قطر فى حيال بحر زاخر . ثم ذكر المراجع التى نظرها على هذا الكتاب فبلغت بالعد والحذر ما ينوف على مائتى كتاب مابين منقول ومعقول والحق أن من نظر فى ترجمة هذا الكتاب على الوجه الذى أشار اليه مؤلفه ووفق للاطلاع عليه عرف أنه باسم الاتقان جدير وانه كتاب لا نظير له فى هذا الباب الخطير، كيف ومؤلفه بحر فى العلوم لا ساحل له . وفى المواهب اللدنية سبحان من خلقه فسواه فعدله ، يؤتى الحكمة من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ومن التوفيق الالهى أنى بعد أن طالعت هذه الكتاب حوالى سنة ١٣٣٥ وضعت رسالة تصلح ان تكون مقدمة لعلم التفسير سميتها عنوان البيان فى علوم التبيان ، وقد طبعت هذه الرسالة ولله الحمد سنة ١٣٤٤هـ ونشرت فى كثير من الجهات داخل القطر وخارجه وهذه مباحثها

﴿ مباحث عنوان البيان ﴾

المبحث الأول فى معني القرآن فى اللغة . الثاني فى معنى القرآن فى اصطلاح أهل الأصول . الثالث فى معني القرآن عند المتكلمين الرابع فى معنى انزال القرآن . الخامس فى النهي عن القول بأن القرآن حادث أو مخلوق. السادس في اطلاق القرآن

على الصفة القديمة . السابع انزال القرآن. الثامن اطلاق القرآن وكلام الله على ما بين دفتى المصحف. التاسع اثبات القرآن فى اللوح المحفوظ. العاشر انزال القرآن الى سماء الدنيا . الحادي عشر اعجاز القرآن فى أسلوبه العربى. الثانى عشر القرآن عربى بالنص. الثالث عشر فى بيان حديث نزل القرآن على سبعة أحرف . الرابع عشر فى بيان حديث نزل القرآن على سبعة أبواب. الخامس عشر فى حكم تجويد القرآن وأركان قراءته . السادس عشر فى تعليم القرآن فى الصدر الاول . السابع عشر فى أول من جمع الأولاد بالمكتب لتعليم القرآن . الثامن عشر فى بدعة الجمع فى القراءات . التاسع عشر فى التلقي عن الشيوخ . العشرون فى اركان القراءة . الحادى والعشرون أنواع القراءات أربعة . الثانى والعشرون بيان الخلاف في ثبوت القرآنية بخبر الآحاد المحتف بالقرائن . الثالث والعشرون فى تواتر القراآت . الرابع والعشرون فى جمع القرآن وكتابته بالخط العثمانى . الخامس والعشرون فى دراسة القرآن وكتابته فى عهده عليه السلام . السادس والعشرون كتابة القرآن توقيفية. السابع والعشرون فى معني أمية النبى صلى الله عليه وسلم . الثامن والعشرون فى كتابه عليه السلام . التاسع والعشرون فى حفظ القرآن فى عهده عليه السلام . الثلاثون فى جمع القرآن. الحادى والثلاثون ترتيب الايات توقيفى . الثانى والثلاثون الخلاف فى ان ترتيب السور توقيفي . الثالث والثلاثون فى الجمعة الثانية . الرابع والثلاثون اختلافهم فى المراد من الأحرف السبعة . الخامس والثلاثون فى فوائد جمع أبى بكر رضى الله عنه . السادس والثلاثون الجمعة الثالثة . السابع والثلاثون سبب جمعة عثمان رضى الله عنه . الثامن والثلاثون الفرق بين جمع أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما . التاسع والثلاثون فى أن المصاحف العثمانية لم تشتمل الا على حرف واحد . الأربعون منع كتابة القرآن بغير الخط العثمانى . الحادى والاربعون. يجب المبادرة باصلاح ما كتب من القرآن على غير الرسم العثمانى أو غسله . الثانى والأربعون علم الرسم السلفى ورسوخ الصحابة فيه. الثالث والاربعون أنواع الكتاب وأصل الخط

العربى . الرابع والأربعون نقط المصاحف وشكلها ووضع الفواصل بين رءوس الآي. الخامس والأربعون النصيحة لكتاب الله تعالي. السادس والأربعون حفظ القرآن وصيانته من التحريف . السابع والأربعون حفظ السنة النبوية. الثامن والأربعون رفع العلم في آخر الزمان . التاسع والأربعون خاتمة فى تبليغ القرآن وأحكام الدين، وهذه المباحث وان كانت مفيدة فى بابها وقد انتفع بها ولله الحمد كثير من طلابها، فليس لها بجانب ماحواه كتاب الاتقان مما يذكر أو يقدر فى قيم الأشياء ذات الشأن

وأين الثرى من الثريا ، وأين الثريا من يد المتناول

فالأجدر بالتقديم كتاب الاتقان دون عنوان البيان ، ولكن الآن وقد ازداد ضعفى وقصرت همتى ، وأصبح طلاب العلم حالتهم كحالتى ، فليس هناك أمل فى العودة الى مطالعته والتزود باسرار مشافهته ولذلك فكرت فى أن أضع عجالة فى ذلك لا يطول بها البيان ، بعضها ملخص من الاتقان وعنوان البيان ، و بعضها عن ذوى التحقيق فى هذا الشأن ، و بعضا مستمد من فيض من أنزل « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » وأسأل الله أن ينفع بها الاخوان ، وهو حسبي وكفى

محمد حسنين العدوى

﴿ لفظ القرآن ﴾

اعلم أن لفظ القرآن في الأصل وصف أو مصدر مشتق من القرء بمعنى الجمع كما قال الزجاج واللحياني سمى به كلام الله تعالى وقال ابن الأثير : تكرر فى الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارى والقرآن ، والأصل في هذه اللفظة الجمع ، وكل شيء جمعته فقد قرأته وسمى القرآن قرآناً لأنه جمع القصص والامر والنهى والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران والاقتراء افتعال من القراءة وقد تحذف الهمزة منه تخفيفا فيقال قران وقال قوم منهم الأشعرى كما فى الاتقان : ان القرآن مشتق من قرنت الشىء بالشيء إذا ضممت بعضه إلى بعض وسمي به لقران السور والآيات والحروف فيه ، وقيل مشتق من القرائن

لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً فهي قرائن وعلى هذين القولين هو بلا همز ونونه أصلية قال الزجاج : هذا غلط والصواب أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركتها إلى ماقبله فهو عنده وصف مهموز على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع لأنه جمع السور كما قال أبو عبيدة ، أو ثمرات الكتب كما قال الراغب ، وعند اللحياني وجماعة هو مصدر كالغفران سمي به المقروء تسمية المفعول بالمصدر كما في اللسان وغيره وذكر صاحب الاتقان أن الله تعالى سمي القرآن بخمسة وخمسين اسماً سماه كتاباً مبيناً إلى آخر ماذكره والاسم العلم منها هو القرآن ، فهو في الأصل وصف أو مصدر جعل علماً على الكلام المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه الشافعي رضى الله عنه ومحققو الأصوليين وحدوه تارة باللفظ المنزل للاعجاز بسورة منه ، وتارة بما نقل بين دفتي المصحف تواتراً وتارة باللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه ، والتعبد بتلاوته لتصوير مفهومه لا لبيان حقيقته ، لأن التعريف لا يكون الا للحقائق الكلية ، وقيدوه بالمصحف لأن الصحابة رضوان الله عليهم بالغوا في أن لا يكتب فيه ما ليس منه مما يتعلق به حتي النقط والشكل واحتاطوا في ذلك حتى جردوه من كل ما يخالف شكله كي يختلط به غيره ونقل الينا متواتراً فعلم أن المكتوب في المصاحف المتفق عليها من الصحابة هو القرآن وما هو خارج عنها ليس بقرآن ، إذ يستحيل في العرف والعادة مع توفر الدواعي على حفظه وضبطه أن يهمل بعضه فلا ينقل أو يخلط به ماليس منه وهو علم شخصي على مايصدق عليه هذا المفهوم من أول سورة الحمد إلى آخر سورة الناس عند الأصوليين والفقهاء وأهل العربية الباحثين عن أقواله المحتجين بأبعاضه وأجزائه وانما حدوه بماذكر من أوصافه مع تشخصه لضبط أجزائه وتميزه عما لا يسمى باسمه من الكلام كالتوراة والانجيل والاحاديث النبوية والقدسية وما نسخت تلاوته وعلميته اما باعتبار أول نزوله أي تشخصه بأول محل وجد فيه ولا التفات لتعدده بتعدد المحال الطارىء بعد ذلك ، فهو واحد أينما حل ، وكأن التشخص الذى وضع العلم باعتباره غير لازم في مثل هذا التعدد

أو باعتبار وضعه المؤلف المخصوص الذى لا يختلف باختلاف المتلفظين للقطع بأن ما يقرؤه كل واحد منا هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل عليه السلام ، ولو كان عبارة عن ذلك الشخص القائم بلسان جبريل فقط لكان مايقرؤه غيره مماثلا له لا عينه ضرورة أن الأعراض تتشخص بمحالها فتتعدد بتعدد المحل، ومن نظر إلي ذلك جعله علم جنس. وقيل هو موضوع للقدر المشترك بين المجموع و بين أجزائه فسماه كلى كالمشترك المعنوى. وقيل هو موضوع لكل واحد منهما بوضع فيكون مشتركا لفظياً،وعبارة التلويح محتملة لهذين المعنيين حيث قال : ثم كل من الكتاب والقرآن يطلق عند الأصوليين على المجموع وعلى كل جزء منه لأنهم انما يبحثون عنه من حيث انه دليل على الحكم وذلك آيه لا مجموع القرآن فاحتاجوا إلى تحصيل صفات مشتركة بين الكل والجزء مختصة بهما لكونه معجزا منزلا على الرسول مكتوبا فى المصاحف منقولا بالتواتر فاعتبر بعضهم فى تفسيره جميع الصفات لزيادة التوضيح و بعضهم الانزال والاعجاز لان الكتبة والنقل ليسا من اللوازم لتحقق القرآن بدونهما فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم و بعضهم الانزال والكتبة والنقل لأن المقصود تعريف القرآن لمن لم يشاهد الوحى ولم يدرك زمن النبوة، وهم إنما يعرفونه بالنقل والكتبة فى المصاحف ولا ينفك عنهما فى زمانهم فهما بالنسبة اليهم من أبين اللوازم وأوضحها دلالة على المقصود بخلاف الاعجاز فانه ليس من اللوازم البينة ولا الشاملة لكل جزء اذ المعجز هو السورة أو مقدارها اه

ومن اقتصر على الاعجاز نظر الى أنه الوصف الذاتى والآية المصدقة للرسول المثبتة لرسالته صلى الله عليه وسلم وقرآنيته وان كان الاعجاز ليس لجميع ابعاضه ، بل بأى سورة منه أو قدر أقصر سورة من آيه

و يطلق القرآن عند المتكلمين كما فى الألوسى وغيره على الكلمات الغيبية الأزلية من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس وهي الألفاظ الحكمية المجردة عن المواد

مطلقاً حسية كانت أو خيالية أو روحانية المرتبة بصفته تعالى القديمة من غير تعاقب فى الوضع العلمى تحقيقاً بل تقديراً عند تلاوة الألسنة الكونية الزمانية ، وهو بهذا المعنى متصف بكونه منزلا على النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ معنى إنزال القرآن ﴾

ومعني تنزيله مع كونه نفسياً ازلياً اظهار صورته فى المراد الروحانى والخيالية والحسية اذلامعنى لانزال الكلام النفسى الاانزال صورته الاترى أن مافى النفوس البشرية من الكلام النفسى المرتب بملكاتهم انما يظهر فى مقاطعهم وعلى ألسنتهم بصورته الحرفية الصوتية وكلماته المسموعة المقروءة ؟ وأما ذاته فلا تزال قائمة بالنفس باقية بها لاتنتقل اذ هى عرض والأعراض لا يجوز عليها الانتقال فمعني ذكر الكلام النفسي وابرازه وانزاله اظهار صورته اللفظية فى الحروف والكلمات المذكورة المنزلة

ومن هنا قال أهل السنة : القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وهو مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور مقروء بالألسنة مسموع بالآذان غير حال فى شيء منها ، وهو فى جميع هذه المراتب قرآن أيضاً حقيقة شرعية معلوم من الدين بالضرورة أى ان لفظ القران كما يطلق على الكلمات الغيبية الأزلية يطلق حقيقة شرعية بل وعرفية ولغوية أيضا على صورها الكونية المتجددة التى هى مظاهر تلك الكلمات الغيبية المنزلة فى هذه المراتب الحادثة من غير حلول فيها ولا انفصال عن ذاته المقدسة ، وهذه الصور الكونية هى التى أطلق عليها لفظ القرآن علماً شخصياً بدون التفات إلى تعددها أو جنسياً كما تقدم ، ومعني كونها منزلة على النبي صلى الله عليه وسلم أى على لسان جبريل أو فى اللوح المحفوظ انها منشأة ومتجددة بذاتها أو بحروفها وكلماتها فى قلوبهم والسنتهم ومجعولة برقومها فى اللوح كما يخلق الله الكلام اللفظى فى السنتنا والكلمات النفسية في صدورنا

﴿ لا يقال ان القرآن حادث أو مخلوق ﴾

ومع ذلك لا ينبغى ان يقال ان القرآن بهذا المعنى حادث أو مخلوق تحاشياً من

الذهاب الى المعني القديم، وفى مقام التعليم ينبغى الاشارة اليه بقدر ما تقتضيه ضرورة التفهيم كما وقع لابن عباس رضى الله عنهما فقد أخرج بن مردويه عن طاووس قال (جاء رجل الى ابن عباس من حضرموت فقال له يا بن عباس اخبرنى عن القرآن الكلام . أمن كلام الله تعالى أم خلق من خلق الله سبحانه وتعالى قال: بل كلام من كلام الله تعالى أو ما سمعته سبحانه يقول « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتي يسمع كلام الله » فقال له الرجل أفرأيت قوله تعالى « إنا جعلناه قرآناً عربياً » قال كتبه الله تعالى فى اللوح المحفوظ بالعربية أما سمعت الله تعالي يقول « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » اه

فانظر الى ابن عباس رضي الله عنهما كيف أفهم الرجل الحضرمي واجابه عن سؤاله وحاصله أنه يقال القرآن من كلام الله تعالى ولا يقال انه خلق من خلقه وما ورد عن الله تعالى من كونه مجعولا نقول فيه: انه مكتوب أومثبت في اللوح المحفوظ ولا نقول مخلوق أو محدث لأن القرآن اللفظي صورة تجلي فيها الكلام النفسى كما تجلي جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وذاته لم تفارق سدرة المنتهى وكما يتجلي الحق جل شأنه يوم القيامة فى الصور المعروفة وغير المعروفة من غير حلول واتحاد وهو جل شأنه متعال عن الصور والأمثال، فكما لا يقال في الصور التى يتجلى فيها الحق جل شأنه انها خلق من خلقه سبحانه وتعالى كذلك لا يقال للصور التي تجلى فيها القرآن القديم انها خلق من خلقه وانما هو كلام من كلامه المنزه عن المثيل فان نسبة كلام البشر الى تلك الصور القرآنية كنسبة صفاتهم الي صفاته القديمة وان كان بين النسبتين بون بعيد فلذا قابل السائل بينهما حيث قال أمن كلام الله تعالى أم خلق من خلق الله سبحانه؟ وأجابه حبر الأمة كذلك بأنه من كلام الله لا خلق من خلقه فأفهم الأعرابى كلامه بكلامه تعالى ففهم وسكت ، فما الطف البيان بالتبيان وسبحان الفتاح العظيم . وهل أراد ابن عباس رضى الله عنهما ان القرآن الكلام وان كان خلقاً من خلق الله تعالي ومجعولا أي مخلوقاً لا يطلق عليه ذلك أدبا

وتحاشياً من الذهاب الى القديم وهو الظاهر أوأراد نفى كونه مخلوقاً لأنه صورة كلامه القديم ودال عليه ومجلى لصفته النفسية . والمخلوق من جوهر وعرض لا يكون كذلك بل هو أثر مباين لذاته تعالى وصفاته ليس له من الاختصاص بهما ما للقرآن الكلام من الاختصاص بصفته الأزلية وكلماته الغيبية والخلق انما يطلق شرعا وعرفاً على الأثر المباين لفاعله دون المجلى والمظهر الدال على ذاته أو صفته وقد يشير الي هذا قوله خلق من خلقه أي من جنس مخلوقاته المباينة له التي ليست بمثابة القرآن في النسبة اليه تعالى ولذا يقال له وهو في هذه المرتبة كلام الله كما يقال لكلامه النفسي ، ووصفه بالمحدث فى قوله تعالى «ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون» ليس باعتبار نفسه و إنما هو باعتبار تنزيله لأن الغرض من الآية بيان أنه كلما تجدد لهم التنبيه والتذكير وتكررت على اسماعهم كلمات التخويف والتحذير لا يزيدهم ذلك الا نفوراً واعراضاً لأن ذلك المنزل حادث أو قديم كما لا يخفى على ذى فهم مستقيم ، وما ورد أن الله خلق آدم على صورته فليست الصورة فيه من قبيل صورة الكلام اللفظى للكلام النفسى بل معناه أنه خلقه جامعا لصفات الكمال من حياة وعلم وقدرة وارادة وكلام وسمع و بصر وليست هذه في آدم عليه السلام ولا في غيره من ذريته مهما بلغ من الكمال مجالى لصفاته تعالي وصورة لها دالة عليها دلالة القرآن الكلام على صفته النفسية وكلماته القدسية ، بل هى من آثاره الكونية وان كانت مظهر أسمائه وصفاته بمعني متعلقها الجعلي على أن الامام تاج الدين بن السبكي نقل أبي عاصم أن محمد بن اسحاق ابن خزيمة المولود سنة ٢٢٣ قال فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فيه سبب وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يضرب وجه رجل فقال لا تضرب على وجهه فان الله خلق آدم على صورته وكذلك قاله أبو على بن أبى هريرة فى تعليقه اهـ. وقول أهل السنة ان القرآن كلام الله تعالي غير مخلوق وهو مكتوب فى المصاحف الخ دال على أن تنزل القرآن القديم في تلك

المظاهر غير قادح فى قدسيته لكونه غير حال فى شىء منها مع كون كل منها قرآنا حقيقة شرعية بلا شبهة كما ذكره الألوسى وغيره، وقد أشار في اليواقيت والجواهر الى تنزل الكلام فى الصورة اللفظية حيث قال. فان قلت فما مثال الوحى اذا ظهر لنا بالالفاظ . فالجواب أن مثال ظهور الوحى بالألفاظ مثال ظهور جبريل عليه السلام فى صورة دحية فأن جبريل حين ظهر فيها لم يكن بشراً محضا ولا ملكا محضاً فكما تبدلت صورته فى أعين الناظرين ولم تتبدل حقيقته التى هو عليها فكذلك الكلام الأزلى والأمر الأحدى يتمثل بلسان العربى تارة و بلسان العبري تارة وبلسان السريانى اخري وهو فى ذاته أمر واحد أزلى اه

ومثل ذلك ظهور الكلام النفسى فى الصور الكتابية والخيالية ومن هنا يتبين معني ظهور القرآن فى صورة الرجل الشاحب يلقي صاحبه حين ينشق عنه القبر وظهوره خصما لمن حمله مخالفا أمره كما ذكره العلامة الألوسى وغيره

﴿ اطلاق القرآن على الصفة القديمة ﴾

و يطلق القرآن أيضا عند المتكلمين على الصفة القديمة باعتبار تعلقها بكلماته الغيبية أى ترتيبها أزلا وتعلقها بمعانى تلك الكلمات التى هى معانى صورها المنزلة المسمى كل من تلك الكلمات والصور قرآنا كما أنها تسمى توراة وانجيلا وزبوراً بهذا الاعتبار، ولفظ كلام الله تعالى يطلق على مايطلق عليه لفظ القرآن من اللفظ المنزل ومن الكلمات الغيبية الأزلية وعلى الصفة القديمة التى ليست من جنس الحروف والأصوات أصلا بل هى واحدة بالذات تتعدد تعلقاتها المعنوية الأزلية حسب تعدد المتكلم به من الكلمات الغيبية الأزلية كما تتعدد تعلقاتها التنجيزية الاضافية الحادثة حسب تعدد تنزلاتها الكونية فى عالم المواد والصور وهى بالاعتبار الأول متنوعة أزلا إلى أمر ونهى وخبر واستخبار . وبالاعتبار الثاني متنوعة فيما لايزال الى ذلك والخلاف المشهور فى كون الكلام متنوعا فى الأزل أوفيما لا يزال منظور فيه للصفة القديمة باعتبار تعلقها بالأشياء أى دلالتها عليها من حيث كونها

خبرا أو استفهاما أو أمرا أونهيا الي غير ذلك وأما الكلام النفسى بمعنى الكلمات الغيبية أو بمعنى الصفة القديمة من حيث تعلقها بتلك الكلمات وترتيبها لها فلا نزاع في تنوعه أزلا كما أنه لانزاع فى أن الكلام النفسى باعتبار تعلقه التنجيزي ليس متنوعا أزلا

﴿أطلاق القرآن وكلام الله تعالى على مابين دفتى المصحف﴾

وكلام الله تعالى كالقرآن يطلق أيضاً شرعا على ما بين دفتي المصحف من الرقوم الدالة عليه ومعنى كونها قرآناً أنها دالة عليه لا أنها نفس القرآن لأن القرآن اما الصفة القديمة أو الكلمات الغيبية أو النظم المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فان الله سبحانه وتعالى كما هو متكلم بالوحى بكلام حقيقي حروفه عارضة للصوت وذلك يسمى قرآنا حقيقة شرعية كما يسمى كلام الله تعالي كذلك متكلم بكلام حقيقي حروفه ليست عارضة للصوت الحادث يسمى قرآناً كما يسمى كلام الله تعالى. والأول لفظ حقيقى لا تجتمع أجزاؤه في الوجود والثانى لفظ حكمى لا تعاقب فيه بل أجزاؤه مجتمعة فى الوجود وهو الكلام النفسي الحقيقى والأول صورة له ومظهر من مظاهره التى يتجلى فيها كلامه الحقيقي ووصفه القديم الأزلى وهو الملفوظ باللفظ الخارجى الذى هو الصورة الحادثة وان كنا لا نطلق عليه ذلك كما تقدم

﴿انزال القرآن﴾

تقدم أن القرآن يطلق على الكلمات الغيبية الأزلية وعلى الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى وانه بهذا المعنى يتصف بالانزال والنزول ومعنى انزاله اظهاره من عالم الغيب إلى عالم الشهادة باظهار صورته الكونية لدي السفرة أوفى اللوح المحفوظ أو على قلب النبي صلى الله عليه وسلم كما يطلق على تلك المراتب المتجددة والصور الكونية الظاهرة ويتصف أيضا بالانزال والنزول والكتابة والقراءة بمعنى اظهار ذاته لا اظهار صورته. قال الأصفهاني في أوائل تفسيره كما نقله عنه صاحب الاتقان: اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله منزل واختلفوا فى معنى الانزال، فمنهم

من قال اظهار القراءة ومنهم من قال ان الله تعالي ألهم كلامه جبريل وهو فى السماء وهو عال عن المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه فى الأرض وهو يهبط في المكان وفى التنزيل طريقان : أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل . والثانى أن الملك انخلع إلى البشرية حتي يأخذه الرسول منه والأول أصعب الحالين اه

وقال القطب الرازى فى حواشى الكشاف : والانزال لغة بمعني الايواء و بمعنى تحريك الشيء من العلو الى أسفل وكلاهما لا يتحقق فى الكلام فهو مستعمل فيه فى معنى مجازي ، فمن قال القرآن معني قائم بذات الله تعالى فانزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى و يثبتها فى اللوح المحفوظ ومن قال القرآن هو الألفاظ فانزاله مجرد اثباته فى اللوح المحفوظ ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن المعنيين اللغويين ، ويمكن أن يكون المراد بانزاله اثباته فى السماء الدنيا بعد الاثبات في اللوح المحفوظ وهذا مناسب للمعني الثانى والمراد بانزال الكتب على الرسول أن يتلقفها الملك من الله تلقفا روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ و ينزل بها و يلقيها اه .

والتلقف الاخذ بسرعة ومعني التلقف الروحاني أن يحصل له قرب واتصال روحانى فينتقش في ذاته لا من طريق السمع والكلام الذى أراد الله ارساله للرسول و يلهمه بوحيه اليه ، وقيل الانزال بسماع الحروف والاصوات من جميع الجهات خلاف العادة أو سماع كلامه تعالى بلا صوت على رأى من جوز سماع الكلام النفسي كما نقله عبد الحكيم عن البيضاوي فى حواشيه بعد أن حكي القولين السابقين أنظر عنوان البيان وتفسير الألوسي وغيره فى مثل هذا المكان

﴿ الفراشى والنومى ﴾

ومما خص من علوم الاتقان النوع الخامس الفراشى والنومى ، فالمراد بالفراشى

مانزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى فراشه مع أهله ، والنومى مانزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو في حالة تشبه حالة النوم وليست بنوم فيتلقاه وهو فى يقظته، لأنه وإن صح أن رؤيا الأنبياء وحى ولكن الأشبه ان يقال ان القرآن كله نزل فى اليقظة

﴿ الأرضى والسماوى ﴾

ومنه أيضاً الأرضي والسماوى ، فالمراد بالسماوي مانزل عليه صلي الله عليه وسلم وهو فى السماء ليلة الاسراء، وبالأرضى مانزل عليه وهو فى الأرض أو فيما بينها و بين السماء أو نزل عليه تحت الأرض فى غار حراء

﴿ مانزل مشيعا ومانزل مفردا ﴾

ومنه أيضاً مانزل مشيعاً ومانزل مفرداً فالمراد بالمشيع مانزل على النبي صلي الله عليه وسلم مشيعاً بعدد عظيم من الملائكة يختلف قلة وكثرة باختلاف السور والآيات التى نزل بها كما وردت به الأخبار

﴿ العالى والنازل ﴾

ومنه أيضاً العالي والنازل فالعالى ماقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث العدد فى الاسناد ، والنازل ما بعد

﴿ الشاذ ، والموضوع ، والمدرج ﴾

ومنه أيضاً الشاذ والموضوع والمدرج ، فالشاذ مالم يصح سنده ، والموضوع المكذوب ، والمدرج مازيد فى القراءة على وجه التفسير ، وقد بين كل ذلك وضبط غاية الضبط حتى لا يتسرب إلى القرآن الثابت بالتواتر المحفوظ من التحريف والتبديل ماليس منه تحقيقاً لوعد الله الذى لا يخلف وعده « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

﴿ الموصول لفظاً والمفصول معنى ﴾

ومنه أيضاً الموصول لفظا المفصول معنى وهو نوع مهم جدير بالتصنيف وأصل كبير

فى الوقف والابتداء وبه يحصل حل اشكالات وكشف معضلات، فمن ذلك قوله تعالى « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون » فقوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما آخر قصة آدم وحواء، وقوله فتعالى الله عما يشركون تخلص إلى قصة العرب وإشراكهم الأصنام وحسن التخلص والاستطراد من أساليب القرآن، فهو موصول لفظاً مفصول معنى والا أشكل حيث ينسب الاشراك الى آدم وحواء وآدم نبي معصوم. ويوضح ذلك العدول عن ضمير التثنية الى ضمير الجمع وعليه فالمراد بالشرك فى قوله تعالي جعلا له شركاء الشرك تسمية لا حقيقة، فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال لها سميه عبد الحرث فانه يعيش فسمته بذلك فعاش فكان ذلك من وحى الشيطان وأمره وعنى بالحرث نفسه، فانه كان يسمى به بين الملائكة، ولا يعد هذا شركاً بالحقيقة لأن اسماء الأعلام لا تفيد مفهوماتها اللغوية لكن اطلق عليه الشرك تغليظاً، وهذا مذهب جماعة من السلف كابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم وفى الآية وجه آخر ناقشه العلامة الألوسي وأيد مذهب الجماعة المذكور فانظره

﴿ معرفة غريب القرآن ﴾

ومنه أيضاً معرفة غريبه وفيه فصول أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيدة وابراهيم الزاهد وابن دريد ومن أشهرها كتاب العزيزى فقد أقام فى تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الانبارى ومن أحسنها المفردات للراغب وساق المصنف هنا ماورد في القرآن من أول سورة البقرة الى سورة الناس قال: وينبغى للاعتناء بهذا النوع، فقد أخرج البيهقي من حديث أبى هريرة مرفوعاً (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه) وعن ابن عمر مرفوعاً (من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ومن قرأه بغير اعراب كان له بكل حرف عشر حسنات)

والمراد باعرابه معرفة معاني الفاظه لا الاعراب النحوي فانه لا تجوز القراءة بدونه، وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع الى كتب أهل الفن وعدم الخوض فيه بالظن، فهاهم الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في الفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا عنها شيئاً، فقد روي عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن قوله تعالى « وفاكهة وأباً » (فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني ان أنا قلت في كتاب الله مالا أعلم). وجميع هذه الغرائب التي أفردت بالتأليف وذكرها المصنف من طريق أبي طلحة عن ابن عباس وغيره قد تكفلت ببيانها كتب اللغة والتفسير، والأب المرعى الذي لم يزرعه الناس مما تأكله الدواب والأنعام ويقال : الفاكهة للناس، والأب للدواب .

﴿ معرفة الوجوه والنظائر ﴾

ومنه أيضا معرفة الوجوه والنظائر صنف فيه من المتقدمين مقاتل بن سليمان ومن المتأخرين ابن الجزري وابن الدامغاني وأبو الحسن محمد المصري وابن فارس وآخرون، وللجلال في نوع منه كتاب سماه معترك الأقران في مشترك القرآن . فالوجوه اللفظ المشترك يستعمل في عدة معان كلفظ الأمر والنظائر كالألفاظ المتواطئة ، وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثاً مرفوعا (لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتي يرى للقرآن وجوهاً كثيرة) وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يري اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد وآخرون بأن المراد به استعمال الاشارات الباطنة وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر، وقد جرى على ذلك كثير من المفسرين حيث يذكرون بعد تفسير الآيات بالمعاني الظاهرة ماتشير اليه من الوجوه الباطنة كما صنع العلامة الألوسي في تفسيره وحمل عليه التأويل المشار اليه في حديث ابن عباس (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)

﴿ كلام الالوسي في الفرق بين التفسير والتأويل ﴾

حيث قال في مبحث الفرق بين التفسير والتأويل : قد تعورف من غير نكير أن

التأويل اشارة قدسية ومعارف سبحانية تنكشف من سجف العبارات للسالكين ، وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين والتفسير غير ذلك اهـ ولعله اراد تعارف السادة الصوفية كما يشير اليه قوله وأما كلام السادة الصوفية فى القرآن فهو من باب الاشارات الى دقائق تنكشف على ارباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وذلك من كمال الايمان ومحض العرفان ، لأنهم اعتقدوا ان الظاهر غير مراد أصلا ، وانما المراد الباطن فقط ، اذذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به الي نفى الشريعة بالكلية وحاشا ساداتنا من ذلك . كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر ، وقالوا لابد منه اولا اذ لامطمع فى الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ، ومن ادعى فهم اسرار القرآن قبل احكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ الى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب ، ومما يؤيد أن للقرآن ظاهرا وباطناً ما اخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال ان القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضى عجائبه ولا تبلغ غايته ، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى. اخبار وأمثال وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظهر وبطن فظهره التلاوة وبطنه التأويل ، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء الى آخر ماذكره فى مقدمة تفسيره ، ومما يؤيد أن للقرآن وجوها ايضا ما اخرجه ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس ان على بن ابى طالب ارسله الي الخوارج فقال اذهب اليهم فخاصمهم ولا تحاججهم بالقرآن فأنه ذووجوه ولكن خاصمهم بالسنة ، واخرج من وجه آخر ان ابن عباس قال ياامير المؤمنين فأنا اعلم بكتاب الله منهم ، في بيوتنا نزل ، قال صدقت ولكن القرآن حمال ذووجوه نقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصاً، فخاصمهم بالسنة فلم يبق بأيديهم حجة انظر الأصل فقد أفاض الكلام فى هذا النوع

﴿ معرفة الادوات التى يحتاج اليها المفسر ﴾

ومنه أيضا معرفة الأدوات التى يحتاج اليها المفسر ، وعني بالأدوات الحروف

وما شا كلها من الأسماء والأفعال والظروف قال ان معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها كما فى قوله تعالي « وانا أواياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين » فاستعملت على فى جانب الحق وفى في جانب الضلال لأن صاحب الحق كأنه مستعل يصرف نظره كيف شاء وصاحب الباطل كأنه منغمس فى ضلال منخفض لايدري اين يتوجه الى غير ذلك مما ذكره وافاض فيه فراجعه

﴿ مقدم القرآن ومؤخره ﴾

ومنه ايضا مقدمه ومؤخره وهو قسمان: الأول ما اشكل معناه بحسب الظاهر فلما عرف انه من باب التقديم والتأخير اتضح وهو جدير أن يفرد بالتصنيف، وقد تعرض السلف لذلك فى آياته فأخرج ابن ابى حاتم عن قتادة فى قوله تعالى « فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا » قال هذا من تقاديم الكلام يقول لا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وفى الآية وجه آخر لا تقديم فيه ولا تأخير . واخرج عن قتادة فى قوله تعالى « انى متوفيك ورافعك الي » قال هذا من المقدم والمؤخر اي رافعك الى ومتوفيك الى آخر ماذكره المصنف . الثانى ماليس كذلك وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه المقدمة فى سر الألفاظ المقدمة قال فيه الحكمة الشائعة الذائعة فى ذلك الأهتمام كما قال سيبويه فى كتابه كأنهم يقدمون الذى بيانه أهم وهم ببيانه اعنى ، قال وهذه الحكمة اجمالية ، واما تفاصيل اسباب التقديم واسراره فقد ظهر لى منها عشرة انواع عدها ومثل لها منها التبرك والتعظيم والتشريف والمناسبة فراجعه

﴿ مشكل القرآن وموهم الاختلاف والتناقض فيه ﴾

ومنه أيضا مشكله وموهم الاختلاف والتناقض فيه والمراد به ما يوهم التعارض بين الآيات

وكلامه تعالى منزه عن ذلك كما قال تعالي « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً » ولكن قد يقع المبتدى مايوهم اختلافا وليس به فى الحقيقة، فاحتيج لازالته كما صنف فى مختلف الحديث و بيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة ، وقد تكلم في ذلك ابن عباس . قال عبد الرزاق فى تفسيره انبأنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى ابن عباس فقال رأيت اشياء تختلف علي من القرآن فقال ابن عباس ماهو أشك ؟ قال ليس بشك ولكنه اختلاف قال هات ما اختلف عليك من ذلك قال أسمع الله يقول « ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » وقال « ولا يكتمون الله حديثا » فقد كتموا وساق له مسموعين آخرين فقال ابن عباس أما قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا الآية فانهم لما رأوا يوم القيامة وان الله يغفر لأهل الأسلام و يغفر الذنوب ولا يغفر شركا ولا يتعاظمه ذنب ان يغفره جحده المشركون رجاء ان يغفر لهم فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على افواههم وتكلمت أيديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك « يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوي بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً » الى آخر ماذكره فى هذا النوع فراجعه

﴿ وجوه مخاطبات القرآن ﴾

ومنه أيضا وجوه مخاطباته قال ابن الجوزى فى كتاب التفسير الخطاب فى القرآن على خمسة عشر وجها وقال غيره على اكثر من ثلاثين وجها احدها خطاب العام والمراد به العموم كقوله تعالي « الله الذى خلقكم » والثانى خطاب الخاص والمراد به الخصوص . الثالث خطاب العام والمراد به الخصوص . الرابع خطاب الخاص والمراد به العموم . الخامس خطاب الجنس . السادس خطاب النوع . السابع خطاب العين . الثامن خطاب المدح . وساق اربعة وثلاثين وجها ومثل لها وختم المبحث بفوائد هامة فراجعه

﴿ اعجاز القرآن ﴾

ومنه ايضا اعجاز القرآن أفرده بالتصنيف خلائق: منهم الخطابي والروماني والزملكاني والأمام الرازى والقاضى ابو بكر الباقلانى. والمعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة ،وهى اما حسية او عقلية واكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة تبصرهم واكثر معجزات هذه الأمة عقلية كفرط ذكائهم وكمال افهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذووالبصائر كما قال صلى الله عليه وسلم (ما من الأنبياء نبي الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحياً أوحاه الله الي فأرجو ان أكون اكثرهم تابعا) اخرجه البخارى ومعناه ان معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة وخرقه العادة فى اسلوبه و بلاغته واخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار الا و يظهر فيه شيء مما اخبر به انه سيكون يدل على صحة دعواه ثم قال ولا خلاف بين العقلاء فى أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته و إنما الخلاف فى وجه اعجازه وقد خاض الناس فى ذلك كثيراً فمن محسن ومن مسيء وساق عدة وجوه من هذا وذاك ، ثم نقل عن الأصبهانى في تفسيره أن اعجاز القرآن متعلق بنظمه المخصوص لأن القرآن له صورة وهى النظم المخصوص وعنصر وهو اللفظ والمعني ، و باختلاف الصورة يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار فانه باختلاف صورها اختلفت اسماؤها لا بعنصرها الذى هو الذهب والفضة والحديد فان الخاتم المتخذ من الفضة ومن الذهب ومن الحديد يسمى خاتماً و إن كان العنصر مختلفاً و إن اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت اسماؤها باختلاف صورها وان كان العنصر واحداً قال : فظهر من هذا أن الاعجاز المتعلق بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص

و بيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان أن هـذا النظم مخالف لنظم ماعداه فنقول مراتب تأليف الكلام خمس : الأولى ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف. والثانى تأليف هـذه الكلمات بعضها الى بعض لتحصل الجمل المفيدة وهو النوع الذى يتداوله الناس جميعاً فى مخاطباتهم وقضاء حوائجهم و يقال له المنثور من الكلام. والثالث ضم بعض ذلك إلي بعض ضما له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج و يقال له المنظوم. والرابعة أن يعتبر فى أواخر الكلام مع ذلك تسجيع و يقال له المسجع. والخامسة أن يجعل مع ذلك وزن و يقال له الشعر، والمنظوم إما محاورة و يقال له الخطابة و إما مكاتبة و يقال له الرسالة، فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ولكل من ذلك نظم مخصوص والقرآن جامع لمحاسن الجميع لا على نظم شىء منها يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يصح أن يقال هو كلام والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه و بين ماعداه من النظم ولهذا قال تعالى « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » تنبيهاً على أن تأليفه ليس على هيآت نظم يتعاطاه البشر فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأخري، وقال السكاكى في المفتاح ان إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة، وقال أبو حيان التوحيدى سئل بندار الفارسى عن موضع الاعجاز من القرآن فقال هذه المسألة فيها حيف على المعني وذلك أنه شبيه بقولك ما موضع الانسان من الانسان فليس للانسان موضع من الانسان بل متي أشرت الي جملته فقد حققته ودللت على ذاته، كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شىء منه الا وكان ذلك المعني آية فى نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله وليس فى طاقة البشر الاحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه. فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده * و بالجملة فعلى اعجاز القرآن دليل اجمالي وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أحري ودليل تفصيلي مقدمته التفكير فى خواص

تركيبه ونتيجته العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علماً ألا يعلم من أنزله وهو اللطيف الخبير . وساق المصنف من أفكار العلماء فى خواص تركيبه دلالة على اعجازه ماينبغي الوقوف عليه والعلامة الألوسي بعد سرد الأقوال في وجه اعجازه قال والذى يخطر بقلب هذا الفقير أن القرآن بجملته وأبعاضه حتي أقصر سورة منه معجز بالنظر الى نظمه وبلاغته وأخباره عن الغيب وموافقته لقضية العقل ودقيق المعني . وقد يظهر كلها في آية وقد يستتر البعض كالأخبار عن الغيب ولا ضير ولا عيب فما يبقي كاف وفي الغرض واف

نجوم سماء كلما انقض كوكب ... بدا كوكب تأوى اليه كواكب

ثم بين هذه الوجوه الأربعة فراجعه وكذلك القاضى عياض أبو الفضل كتاب الشفاء فانه أوسع الكلام وحققه فى بيان وجوه اعجاز القرآن فينبغى الوقوف عليه

﴿ أقسام القرآن ﴾

ومنه أيضا أقسام القرآن أى أيمانه افرده ابن القيم بالتصنيف في مجلد سماه التبيان ، والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده حيث جعل مثل « والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » قسما وان كان فيه اخبار بشهادة لأنه لما جاء توكيداً للخبر سمى قسما ، وقد قيل مامعنى القسم منه تعالى فأنه ان كان لاجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الأخبار من غير قسم ، وان كان لأجل الكافر فلا يفيده . وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم اذا ارادت أن تؤكد أمرا . وأجاب أبو القاسم القشيرى بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها وذلك ان الحكم يفصل باثنين اما بالشهادة واما بالقسم كما يشير اليه حديث (البينة على من ادعى واليمين على من انكر) فذكر تعالى فى كتابه النوعين حتي لا يبقي لهم حجة فقال « شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » وقال « قل اى وربي انه لحق » وعن بعض الأعراب انه لما سمع قوله تعالى « وفى السماء رزقكم وماتوعدون فورب السماء والارض انه لحق » صرخ

وقال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى الجأه إلى اليمين يعني أن للقسم اغراضاً بلاغية به يطابق اللفظ مقتضي الحال، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع والباقي كله قسم بمخلوقاته كالتين والزيتون والقسم بها اما على حذف مضاف أي ورب التين والزيتون أو أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون أو أن الأقسام انما تكون بما يعظمه المقسم ويجله وهو فوقه والله تعالي ليس فوقه شيء فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته من حيث انها تدل على باريء وصانع، وهي من هذه الجهة عظيمة جليلة الى آخر ما ذكره في هذا الباب فراجعه

﴿ جدل القرآن ﴾

ومنه أيضا جدل القرآن أفرده بالتصنيف نجم الدين الطوفي قال العلماء قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية إلا وكتاب الله قد نطق بها لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين: أحدها بسبب ما قاله «وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم». الثاني ان المائل الى دقيق المحاجة هو العاجز عن اقامة الحجة بالجلي من الكلام، فأن من استطاع ان يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط الى الأغمض الذى لا يعرفه الا الأقلون ولم يكن ملغزاً فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم وتلزمهم به الحجة وتفهم الخواص من ابنائها ما ربى على ما أدركه فهم الخطباء الي آخر ما ساقه في هذا النوع مما قد لا يوجد في غيره

﴿ مبهمات القرآن ﴾

ومنه أيضاً مبهمات القرآن افرده بالتأليف السهيلي ثم ابن عساكر ثم القاضي بدر الدين بن جماعة والمصنف فيه تأليف لطيف جمع فوائد الكتب المذكورة مع

زوائد أخر وكان من السلف من يعتني به كثيرا قال عكرمة طلبت الذي خرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة وفي روح المعانى قيل نزلت فى جندب بن ضمرة وقيل في اكتم بن صيفى وقيل فى خالد بن حزام وعلى كل حال فالمراد عموم اللفظ لا خصوص السبب، فقد ذكر غير واحد أن من سار لأمر فيه ثواب كطلب علم وحج وكسب حلال وزيارة صديق وصالح ومات قبل الوصول الي المقصد فحكمه كذلك. وللابهام فى القرآن اسباب: احدها الاستغناء ببيانه فى موضع آخر. الثاني أن يتعين لاشتهاره. الثالث قصد الستر عليه ليكون ابلغ فى استعطافه. الرابع ان لا يكون فى تعيينه كبير فائدة الى آخر ما ذكره المصنف. ثم قال ان علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأى فيه، ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير يذكر فيها اسماء المبهمات والخلاف فيها دون بيان مستند يرجع اليه أو عزو يعتمد عليه ألفت الكتاب الذي الفته مذكورا فيه عزو كل قول الى قائله من الصحابة والتابعين وغيرهم معزوا الى أصحاب الكتب الذين خرجوا ذلك بأسانيدهم مبيناً فيه ما صح سنده وما ضعف، فجاء لذلك كتاباً حافلا لا نظير له فى نوعه، وقد رتبته على ترتيب القرآن قال وأنا الخص هنا مبهماته باوجز عبارة تاركا العزو والتخريج غالباً اقتصارا واحالة على الكتاب المذكور.

﴿ مفردات القرآن ﴾

ومنه أيضاً مفردات القرآن أخرج السلفى عن الشعبي قال: لقى عمر بن الخطاب ركباً فى سفر فيهم ابن مسعود فأمر رجلا يناديهم (من أين القوم؟) قالوا أقبلنا من الفج العميق نريد البيت العتيق. فقال عمر: ان فيهم لعالماً فأمر رجلا يناديهم (أى القرآن أعظم؟) فأجابه عبد الله: «الله لا إله إلا هو الحى القيوم» قال نادهم (أى القرآن أحكم؟) فقال ابن مسعود: «إن الله يأمر بالعدل والاحسان» قال نادهم (أي القرآن أجمع؟) فقال: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» فقال نادهم (أى القرآن أحزن؟) فقال: «من يعمل سوءاً يجز به» فقال نادهم

(أى القرآن أرجى؟) فقال : « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً » فقال : أفيكم ابن مسعود ؟قالوا نعم إلى آخر ماذكره فى هذا الباب مما فيه العجب العجاب . وسبحان الفتاح العليم

﴿ معرفة تفسيره وتأويله ﴾

التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف. وقيل مأخوذ من التفسرة وهى اسم لما يعرف به الطبيب المرض ، والتأويل أصله من الأول وهو الرجوع فكأنه صرف الآية إلي ماتحتمله من المعانى أى أرجعها لذلك . واختلف فى التفسير والتأويل ، فقال أبو عبيدة وطائفة هما بمعنى وقد أنكر ذلك قوم حتي بالغ ابن حبيب النيسابورى فقال قد نبع فى زماننا مفسرون لوسئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا اليه ، وقال التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله فى الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجمل وأكثر ما يستعمل فى الكتب الالهية . والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها ، وقال غيره التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معاني مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله وقال . أبوطالب الثعلبي : التفسير بيان وضع اللفظ اما حقيقة أو مجازاً والتأويل تفسير باطن اللفظ. مأخوذ من الأول وهو الرجوع الى آخر ماذكره من المعانى فراجعه. وقال قوم ماوقع مبينا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم سمي تفسيرا وليس لأحد أن يتعرض اليه باجتهاد ، والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعني كلام الله الماهرون فى آلات العلوم ، وقال قوم منهم البغوى والكواشى هو صرف الآية الى معني موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط ، ولعله هو الصواب وهذا القول هو خلاصة ماذكره أبو الخير فى مقدمة علم التفسير فانظره فى كشف الظنون

﴿ بيان شرف التفسير ، والحاجة اليه ، وكلام الالوسى فى ذلك ﴾

وفى مقدمة روح المعانى للعلامة الالوسى : وأما بيان الحاجة اليه فلأن فهم القرآن العظيم المشتمل على الأحكام الشرعية التى هى مدار السعادة الأبدية وهى العروة الوثقى والصراط المستقيم أمر عسير لايهتدى اليه الا بتوفيق من اللطيف الخبير حتي أن الصحابة رضي الله عنهم على علو كعبهم فى الفصاحة واستنارة بواطنهم بما أشرق عليها من مشكاة النبوة كانوا كثيراً مايرجعون اليه صلى الله عليه وسلم بالسؤال عن أشياء لم يعرجوا عليها ولم تصل افهامهم اليها ، بل ربما التبس عليهم الحال ففهموا غير ماأراده الملك المتعال كما وقع لعدى بن حاتم فى الخيط الأبيض والأسود ، ولاشك انا محتاجون الى ما كانوا محتاجين اليه و زيادة . وأما بيان شرفه ، فلأن شرف العلم بشرف موضوعه وشرف معلومه وغايته وشدة الاحتياج اليه وهو حائز لجميعها فأن موضوعه كلام الله تعالي وماعسي أن يقال فيه ، ومعلومه مع أنه مراد الله تعالى الدال عليه كلامه جامع للعقائد الحقة والأحكام الشرعية وغيرها ، وغايته الاعتصام بالعروة الوثقي التى لاانفصام لها والوصول الى سعادة الدارين ، وشدة الاحتياج اليه ظاهرة مما تقدم ، بل هو رئيس جميع العلوم الدينية لكونها مأخوذة من الكتاب وهي تحتاج من حيث الثبوت أو من حيث الاعتداد الى علم التفسير ، وهذا لا ينافى كون الكلام رئيسها أيضا لأن علم التفسير لتوقفه على ثبوت كونه تعالى متكلما يحتاج الى الكلام ، والكلام لتوقف جميع مسائله من حيث الثبوت أو الاعتداد على الكتاب يتوقف على التفسير ، فيكون كل منهما رئيسا للآخر من وجه على ان رياسة التفسير بناء على ذلك الشرف مما لا ينتطح فيه كبشان . وأما الآثار الدالة على شرفه فكثيرة أخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى « يؤتى الحكمة من يشاء » قال المعرفة بالقرآن ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيم أنزلت وماأراد بها ، وأخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن أبى مرة قال مامررت بآية لاأعرفها إلاأحزنتنى لأنى سمعت

الله يقول « وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون » الى غير ذلك

﴿ كلام الالوسى فيما يحتاجه التفسير ، ومعنى التفسير بالرأى ﴾

ثم تكلم فى الفائدة الثانية على مايحتاجه التفسير ومعنى التفسير بالرأى وحكم كلام السادة الصوفية فى القرآن قال : فأما مايحتاجه التفسير فأمور : الأول علم اللغة لأن به يعرف شرح مفردات الألفاظ ومعلوماتها بحسب الوضع ولايكفى اليسير إذ قد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر فمن لم يكن عالما بلغات العرب لا يحل له التفسير كما قاله مجاهد و ينكل كما قاله مالك وهذا مما لا شبهة فيه نعم روى عن احمد أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال ما يعجبني وهو ليس بنص فى المنع عن بيان المدلول اللغوى للعارف كما لا يخفى . الثانى معرفة الأحكام التى للكلم العربية من جهة افرادها وتركيبها و يؤخذ ذلك من علم النحو ، الثالث علم المعاني و به يعرف خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، والبيان و به يعرف خواصها من حيث اختلافها ، والبديع و به يعرف وجوه تحسين الكلام وهو الركن الأقوم واللازم الأعظم في هذا الشأن كما لا يخفي ذلك على من ذاق طعم العلوم ولو بطرف اللسان الرابع تعيين مبهم وتبيين مجمل وسبب نزول ونسخ و يؤخذ ذلك من علم الحديث . الخامس معرفة الاجمال والتبيين والعموم والخصوص و إلاطلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهى وماأشبه ذلك وهذا يؤخذ من أصول الفقه . السادس الكلام فيما يجوز على الله ومايجب له ومايستحيل عليه والنظر فى النبوة و يؤخذ هذا من علم الكلام ولولاه يقع المفسر فى ورطات السابع علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، و بالقراءات ترجح بعض الوجوه على بعض انتهى . ثم قال وعد السيوطي مما يحتاج اليه المفسر علم الموهبة وفيه أن علم الموهبة بعد تسليم أنه كسبى إنما يحتاج إليه فى الاطلاع على الأسرار لا فى أصل فهم معاني القرآن كما يفهمه كلام البرهان وكثير من المفسرين بصدد الثانى . والواقفون على الأسرار وقليل ماهم لا يستطيعون التعبير عن كثير مما

أفيض عليهم فضلا عن تحريره و إقامة البرهان عليه على أن ذلك تأويل لا تفسير، فلعل السيوطى أراد من عبارته معني آخر يظهر لك بالتدبر فتدبر اه ولعله أراد أن المفسر اذاوهب هذا العلم بعد عن الهوى في تفسيره فلا يحمل القرآن على هواه وعمل بما علم فيورثه الله علم مالم يعلم . وأما التفسير بالرأى فالشائع المنع عنه وبعد أن لخص كلام السيوطى في هذا الموضوع قال فالذى ينبغى أن يعول عليه ان من كان متبحرا فى علم اللسان مترقيا فيه إلى ذوق العرفان وله فى رياض العلوم الدينية أوفى مرتع وفى حياضها أصفى مكرع يدرك أعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد وقد غدا ذهنه لما أغلق من دقائق التحقيقات أحسن اقليد فذلك يجوز له أن يرتقى من علم التفسير ذروته ويمتطي منه صهوته ، وأما من صرف عمره بوساوس ارسطاليس ، واختار شوك القنافذ على ريش الطواويس ، فهو بمعزل عن فهم غوامض الكتاب وإدراك ماتضمنه من العجب العجاب انتهى. وذكر فى المقدمة الثالثة أن لكتاب الله اسماء انهاها شيدلة فى البرهان الي خمسة وخمسين اسماً ، وذكر السيوطى بعدها فى الاتقان وجوه تسميته بها ولم يذكر غير ذلك ،وعندى أنها كلها ترجع بعد التأمل الصادق الى القرآن والفرقان رجوع اسماء الله تعالى الى صفتى الجمال والجلال

﴿ معرفة شروط المفسر وآدابه ﴾

ومنه أيضا معرفة شروط المفسر وآدابه قال العلماء : من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن فما أجمل منه فى مكان فقد فسر فى موضع آخر وما اختصر فى مكان فقد بسط في موضع آخر وقد ألف ابن الجوزى كتابا فيما أجمل من القرآن فى موضع وفسر فى موضع آخر ، وأشار المصنف الى أمثلة منه فى نوع المجمل ، فان أعياه ذلك طلبه من السنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له كما تقدم فان لم يجده فى السنة يرجع الى أقوال الصحابة فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، وقد قال الحاكم فى المستدرك إن تفسير الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل له حكم المرفوع ،

وقال الامام أبو طالب الطبرى فى أوائل تفسيره تحت عنوان (القول فى آداب المفسر) : اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا ولزوم سنة الدين فان من كان مغموصاً عليه فى دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤتمن فى الدين على الاخبار عن عالم فكيف يؤتمن فى الاخبار عن أسرار الله تعالى ولانه لا يؤمن إن كان متهما بالالحاد أن يبغى الفتنة و يغر الناس بليه وخداعه وان كان متهما بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته ، ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومن عاصرهم و يتجنب المحدثات الى آخر ما ذكره عن أبي طالب رضى الله عنه فراجعه . ثم نقل عن ابن تيمية فى كتاب ألفه فى هذا النوع فقال يجب أن يعلم أن النبى صلي الله عليه وسلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى « لتبين للناس ما نزل اليهم » يتناول الأمرين وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا اللذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة وذلك أن الله قال « كتاب انزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته » وقال « أفلا يتدبرون القرآن » وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً فى فن من العلم الطبي والحساب ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم الى آخر ما ذكره

﴿ القول فى تفسير القرآن بالرأى ﴾

ثم قال ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل قال تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم » وقال « وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » وقال « لتبين للناس ما نزل اليهم » أضاف البيان اليه وقال صلى الله عليه وسلم (من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) أخرجه أبو داود والترمذى والنسائي وقال (من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) أخرجه أبو داود قال البيهقي فى الحديث

الأول إن صح أراد والله أعلم الرأى الذى يغلب من غير دليل قام عليه ، وأما الذى يشده برهان فالقول به جائز . وقال فى المدخل : في هذا الحديث نظر، وإن صح فانما أراد به والله أعلم فقد أخطأ الطريق فسبيله أن يرجع فى تفسير ألفاظه إلي أهل اللغة ، وفى معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه الى بيان الرسول ﷺ وإلي أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله وأدوا إلينا من السنن ما يكون بياناً لكتاب الله كما قال تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » فما ورد بيانه عن صاحب الشرع ففيه كفاية عن فكرة من بعده ، ومن لم يرد عنه بيانه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه على مالم يرد ، قال وقد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه فتكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة أى لخطئه فى الطريق .

ومنهم من قال يجوز تفسيره بالراى لمن كان جامعا للعلوم التى يحتاج المفسر اليها وهي خمسة عشر علما : اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والاشتقاق ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ، وعلم القراءات ، وأصول الفقه ، واسباب النزول ، والقصص ، والناسخ ، والمنسوخ ، والفقه . والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم ، وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم واليه الاشارة بحديث (من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم) قال ابن أبى الدنيا : وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له ، قال فهذه العلوم التي هى كالآلة للمفسر لا يكون مفسرا الا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأى المنهى عنه ، واذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأى المنهي عنه بل بالرأى المحمود

﴿ التفسير بالرأى المحمود وحكمه ﴾

ثم التفسير بالرأى المحمود على هذه الطريقة يعتبر بيانا لمراد الله تعالي من دلالة القرآن كما قاله صاحب مفتاح السعادة بشرط أن يكون موافقا للقواعد الشرعية والأحاديث النبوية . ومن جملة ما علم من الشرائع أن مراد الله سبحانه وتعالى

من القرآن لا ينحصر فى هذا القدر لما ثبت فى الاحاديث أن لكل آية ظهراً أو بطناً، وذلك المراد الآخر لما لم يطلع عليه كل أحد بل من أعطى فهما وعلما من لدنه تعالى يكون الضابط فى صحته أن لا يرفع ظاهر المعانى المنفهمة عن الألفاظ بالقوانين العربية، وأن لا يخالف القواعد الشرعية ولا يباين اعجاز القرآن ولا يناقض النصوص الواقعة فيه ، فان وجد فيه هذه الشرائط فلا يطعن فيه وإلا فهو بمعزل عن القبول قال الزمخشرى : من حق تفسير القرآن أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها ، وماوقع به التحدى سليما من القوادح

وأما الذين تأيدت فطرتهم النفسية بالمشاهدات الكشفية فهم القدوة في هذه المسالك ، ولا يمنعون أصلا عن التوغل فى ذلك . ثم قال : ان العلماء كما بينوا فى التفسير شرائط بينوا فى المفسر أيضا شرائط لايحل التفسير لمن عرى عنها وهى أن يعرف خمسة عشر علما على وجه الاتقان والكمال : اللغة ، والنحو ، والتصريف إلى آخر ماقدمناه . ثم قال : وهذه العلوم التي لامندوحة للمفسر عنها وإلا فعلم التفسير لابدله من التبحر فى كل العلوم . ثم إن تفسير القرآن ثلاثة أقسام : الاول مالم يطلع الله تعالى عليه أحدا من خلقه وهو مااستأثر به من علوم كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته ، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه . والثانى ماأطلع الله سبحانه وتعالى نبيه عليه من أسرار الكتاب واختص به فلا يجوز الكلام فيه إلاله عليه الصلاة والسلام أو لمن أذن له . قيل وأوائل السور من هذا القسم ، وقيل من الأول . والثالث علوم علمها الله تعالى نبيه مما أودع كتابه من المعانى الجلية والخفية وأمره بتعليمها ، وهذا ينقسم إلي قسمين : منه مالا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقرآن واللغات وقصص الأمم وأخبار ماهو كائن . ومنه مايوصف بطريق النظر والاستنباط من الألفاظ وهو قسمان : قسم اختلفوا فى جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات، وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والاعرابية، لأن مبناها

على الأقيسة ، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والاشارات لا يمتنع استنباطها منه لمن له أهلية ذلك ، وماعدا هذه الأمور هو التفسير بالرأى الذى نهى عنه وفيه خمسة أنواع : الأول التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير . الثاني تفسير المتشابه الذى لا يعلمه الا الله تعالى . الثالث التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعا له فيرد اليه بأى طريق أمكن وان كان ضعيفا . الرابع التفسير بأن مراد الله سبحانه وتعالى كذا على القطع من غير دليل . الخامس التفسير بالاستحسان والهوى

﴿ القول فى تعريف التفسير ، وموضوعه ، وغايته ﴾

بقي الكلام فى تعريف التفسير وقد اختلفت عباراتهم فيه ، والمختار أنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية . ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب بقدر الطاقة البشرية وتمات لذلك كمعرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضيح ما أبهم فى القرآن ونحو ذلك مما له علاقة به ، فقوله عن كيفية النطق اشارة الى علم القرءات والتجويد وماله تعلق بذلك ، وقوله عن مدلولاتها اشارة الي مايحتاج اليه من اللغة في هذا العلم ، وقوله وأحكامها الخ اشارة الى ما يحتاج اليه من التصريف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والبديع ، ونحو ذلك من العلوم التى لها تعلق بذلك . وموضوعه القرآن من الحيثية المتقدمة . ومعنى كونه موضوعا له أنه يتعلق به البيان والايضاح اما لنظمه أو لمعناه لا بمعنى أنه مبحوث فيه عن عوارضه الذاتية كما فى غيره من العلوم ذوات الموضوع والمبادى والمسائل الكلية النظرية فان ذلك ليس بلازم في علم التفسير ونحوه ، فقد قال صاحب كشف الظنون نقلا عن العلامة التفتازانى فى شرح المقاصد : ينبغى أن يعلم ان لزوم الموضوع والمبادي والمسائل على الوجه المقرر سابقاً انما هو فى الصناعات النظرية البرهانية وأما في غيرها فقد يظهر كما فى الفقه وأصوله وقد لا يظهر الا بتكلف كما فى بعض الأدبيات ، اذ ربما تكون الصناعة عبارة عن عدة أوضاع واصطلاحات وتنبيهات متعلقة بأمر

واحد من غير ان يكون هناك اثبات اعراض ذاتية لموضوع واحد بأدلة مبنية على مقدمات كالتفسير والحديث والبديع وعلم اللغة ، وفائدته عصمة المكلف من الخطأ في فهم كلام الله تعالى ، والغرض منه حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة ، وغايته التوصل الى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه واخلاقه والفوز بالسعادة دينا ودنيا

﴿ رأس هـذا العلم بيانه صلى الله عليه وسلم ﴾

وقد علمت استمداده وان منه بيان القرآن بعضه لبعض بان تفسر آية آية و بيان السنة وأقوال الصحابة وعلوم اللغة العربية والاصول المقررة فى كتب الشريعة الاسلامية ، ولـكن رأس هذا العلم والعمدة فيه بيان الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » أى من الاحكام والشرائع والامثال والمواعظ وسير القرون الخالية وقصص الأمم الماضية والعلوم الـكونية والنواميس العمرانية ،وغير ذلك مما حواه الذكر الحكيم من الاسرار التى لا تحصى والعجائب التى لا تستقصى كما تقدم فى حديث ابن عباس (ان القرآن ذو شجون) الخ وكما قال صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) فقد أكمل الله بكتابه الدين الحنيف كما قال تعالي « اليوم أكملت لـكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لـكم الاسلام ديناً » أى أكمله جل شأنه ببينات مايلزم بيانه وما يستنبط منه غيره من التنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرع وقوانين الاجتهاد وأتم رسوله صلى الله عليه وسلم بيانه فألزم الحجة وأوضح المحجة ،ثم تزايد هذا البيان بتزايد الأفكار كسائر العلوم ، لأن بيانه ﷺ و بيان من بعده كما ذكره جمهور العلماء على طراز بيان الكتاب أعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى مايدل عليه ، فيدخل فيه قياس المجتهد وإشارة النص ودلالته وما يستنبط منه من الأحكام والعقائد والحقائق والأسرار الآلهية وفي قوله تعالي « لعلهم يتفكرون » وما ماثله مما استحث فيه العقل والفكر

إلى النظر إشارة الى ذلك حيث طلب منهم أن يتأملوا و يمعنوا النظر ليدركوا الحقائق و يتعظوا بالعبر و يؤدوا حق الله وكتابه وحق رسوله وشريعته ، ومن ذلك تعلم أن باب البيان والتفسير لايزال مفتوحاً فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه لافرق بين الكتاب والسنة فى استنباط أحكام الدين كما ينبىء عنه قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » وعن المقدام بن معدى كرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الا هل عسى رجل منكم يبلغه الحديث عنى وهو متكيء على أريكته فيقول بيننا و بينكم كتاب الله تعالى فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه وان ماحرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرمه الله » أخرجه أبو داود والترمذي ، وزاد أبوداود فى أوله ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ، وذلك المثل هو سنته صلى الله عليه وسلم التي بين بها الذكر الحكيم على أن هذا الفريق الذى أشار اليه الحديث ونحوه من العامة الذين ليسوا أهلا لتفهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام الشرعية يجب عليهم أن يتمسكوا فى ذلك بما ذكره أئمة الدين ودونوه فى كتبهم الصحيحة من الاحكام الشرعية وأوصاف أعمالها ومايتيسر لهم فهمه من أدلتها وتمسكهم بذلك عين التمسك بالكتاب والسنة ، فأن القرآن والأحاديث ماوصلت الينا إلا بواسطتهم مع كونهم أعلم ممن بعدهم بصحيحها وحسنها وضعيفها وغريبها وتأويلها والناسخ والمنسوخ منها مع تمام ضبطهم وتحريهم لها وكمال إدراكهم وقوة ديانتهم واعتنائهم بتفرغهم ونور بصائرهم ، فتفقهوا فى القرآن والأحاديث على مقتضي قواعد الشريعة واستخرجوا قواعد الكتاب والسنة و بينوا على مقتضى المعقول والمنقول ودونوا الدواوين و يسروا علي الناس أمر الدين وأزالوا المشكلات باستخراج الفروع من الأصول ورد الفروع اليها ، فانتظم الحال واستقر من الدين لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بسببهم الخير العميم ، ومن ذلك تعلم أن البيان الموصوف به القرآن كلا أو بعضا كما فى قوله تعالى « هذا بيان للناس » وقوله « يبين الله لكم أن تضلوا » وقوله « ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات » الى

غير ذلك من النصوص الناعتة له بالبيان والتفصيل انما هو بالاضافة إلى أئمة الدين وأعيان أهل العلم بالكتاب لا إلى كل من يستمعه ممن دب ودرج ضرورة أن فيه المتشابه والمشكل والمجمل والغريب وغير ذلك مما يخفى على العامة ، وأنه ليس بياناً لغير ابناء اللغة العربية

﴿ اختلاف مشارب المفسرين ﴾

ثم أحوال أهل العربية مختلفة في معرفته ، فالبلغاء تعرف من فصاحته و بلاغته ، والفقهاء من أحكامه ، والمتكلمون من براهينه العقلية ، وأهل الآثار من قصصه ما يجهله غير المختص بفنه . وقد علم أن الانسان بقدر ما يكتسب من قوته فى العلم تزداد معرفته بغوامض معانيه وعلى ذلك أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها كما سمعها حتي يؤديها الى من لم يسمعها فرب مبلغ أوعى من سامع) ومن هنا اختلفت أصناف التفاسير ومشارب المفسرين فجماعة قصدوا تفسير القرآن بروايات وآثار مناسبة لآياته مرفوعة كانت أو موقوفة أو من أقوال التابعين وأخبار الاسرائيليين وهو التفسير بالرواية ولا بد فى هذا النوع من التثبت حتى يركن اليه و يعول عليه ، والمرجع فى ذلك إلى كتب السنة والتاريخ والسير ونحو ذلك والي موافقته لقضية العقل ودقيق المعني وما ورد منه على خلاف ذلك لا يعول عليه . وجماعة قصدوا تأويل آيات الصفات والأسماء فما لم يكن موافقاً لمذهب التنزيه والتقديس صرفوه عن ظاهره وردوا علي المخالف تشبثه بظواهر هذه الآيات وهذا مسلك طائفة من المتكلمين . وقوم قصدوا آيات التشريع واستنبطوا منها أحكاماً فقهية و بينوا ترجيح بعض المجتهدات علي بعض و ردوا أدلة المخالفين وهذه طريقة الفقهاء وأهل الخلاف من الأصوليين . وجمع أوضحوا نحو القرآن ولغته وأوردوا شواهد كلام العرب فى كل باب موفورة تامة وهذا منصب . النحاة اللغويين وقوم قصدوا بيان نكات المعانى والبيان ووجوه التحسين بقدر ما اتصل اليه قواهم

البشرية وملكاتهم العلمية المتعلقة بفنون القرآن وهذه طريقة الأدباء . ومنهم من يقصد روايات القرآن وقراءاته المأثورة عن الثقات الضابطين وهذه طريقة القراء الحاذقين . وقوم قصدوا بيان ما يشير اليه القرآن من المعانى والأسرار المتعلقة بعلم الحقيقة والسلوك بأدني مناسبة تلوح اليهم من بوارق الفيض الآلهى وهذا مسلك الصوفية العارفين إلى غير ذلك من المشارب المختلفة . ومنهم من أطال ، ومنهم من توسط ، ومنهم من قلل ، ومنهم من فسر آية أو سورة أو جزءاً أو أكثر ، ومنهم من فسر بالعربية مرة و بالفارسية مرة أخرى ومن ثم كان في التفسير سعة لا يمكن تقديرها وميدان القرآن واسع لا تنتهى حدوده ولا تستقصى فنونه والله يقول فى أهل العلم من انس وملك وجن « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وفى الأثر (لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا - وفى رواية - ما تباينوا فاذا استووا اهلكوا اى - لأنهم لا يستوون الا فى الشر -) .

وفي اتقان الجلال وان كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ومطلعها أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شىء وأبان فيه كل هدى وغى ، فترى كل ذى فن منه يستمد ، وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ، و يستخرج حكم الحلال والحرام ، والنحوى يبني منه قواعد اعرابه ، ويرجع اليه فى معرفة خطأ القول من صوابه ، والبيانى يهتدى به الى حسن النظام ، و يعتبر مسالك البلاغة فى صوغ الكلام ، وفيه من القصص والأخبار مايذكر ذوى الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال مايزدجر به أولو الفكر والاعتبار ، الي غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها ، الا من علم حصرها ، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب ، تبهر العقول وتسلب القلوب ، واعجاز نظم لا يقدر عليه الا علام الغيوب . وقد ورد فى فضله وفضل تلاوته أحاديث كثيرة :

منها ما أخرجه أبو سعيد مرفوعا يقول الله سبحانه وتعالى (من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه) وأخرج مسلم من حديث أبى أمامة (اقرءوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه) وتسن قراءته بالتدبر والتفهم كما قال

تعالى « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » « أفلا يتدبرون القرآن » وقدكان للسلف فى قدر قراءته عادات مختلفة ، فمن مكثر ومن مقل ، وكره جماعة الختم في أقل من ثلاث . وعن عبد الله بن عمر مرفوعا (لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث) وصرح الامام النووى فى الروضة وغيرها بأن نسيان القرآن أو بعضه بعد حفظه كبيرة لحديث ابى داوود وغيره (عرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها) وفى الصحيحين (تعاهدوا القرآن فو الذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل فى عقلها)

اختيار ناحية من نواحى القرآن للتفهم والتدبير

ثم انه ينبغى لمن يريد أن يتفهم القرآن ويتدبر آياته معلما أو متعلما اوتاليا ان يختار ناحية اوناحيتين من نواحيه يمر بها عليه سورة سورة وآية آية الى نهايته فاذا فرغ من تفهمها بقدر الامكان عاد الى اوله بناحية أخرى وهكذا يتردد فيما بين اوله وآخره طول حياته حتي يلقي الله تعالى على هداية قرآنه واتباع رضوانه كما قال تعالى « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الي النور » أما الاشتغال به من جميع نواحيه فذلك يعوق عن السير فيه ، وكان شأن السلف فى تلقى رواياته عن الشيوخ والتعبد بتلاوته يفردون كل رواية بختمة تامة على حدتها فاذا فرغوا منها ابتدؤا رواية اخرى وهكذا وما كانوا يعرفون طريقة الجمع بين الروايات فى ختمة واحدة لافى التلاوة ولافى التلقي عن الشيوخ . والأجدر بحالة العامة اليوم واهل العلم والدين ان يتفهموه من ناحية كونه مأخذاً للأحكام الشرعية والأخلاق الدينية وظاهر أن هذا يستلزم معرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين ونحو ذلك من كل ماله علاقة بهذه الناحية

اختيار كتاب من تفاسيره العديدة

وقد وقع الاختيار بتوفيق الله تعالى على مطالعة تفسير البيضاوي المسمى بانوار التأويل

وأسرار التنزيل لتنويه الاجلة وأهل هذه الصناعة بشأنه ففي نواهد الابكار وشوارد الافكار للجلال السيوطي ، أن القاضي ناصر الدين البيضاوي لخص هذا الكتاب فأجاد ، وأتى بكل مستجاد . وماز فيه أماكن الاعتزال ، وطرح موضع الدسائس وأزال . وحرر مهمات ، واستدرك تتمات فظهر كأنه سبيكة نضار ، واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار ، وعكف عليه العاكفون ، ولهج بذكر محاسنه الواصفون ، وذاق طعم دقائقه العارفون . فأكب عليه العلماء والفضلاء تدريسا ومطالعة ، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارعة ، ومروا على ذلك طبقة بعد طبقة إلى زمن شيوخه . ثم بعد وفاتهم وفق لاقرائه فقرأ منه في مدة عشر سنوات متوالية من أوله الى اثناء سورة هود وعلق عليه هذه الحاشية المسماة بنواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، فجاءت كما شاء الله في محاسنها ، وكما روعى في وجه اختيار عنوانها . ثم نقل ترجمة المفسر عن الامام الأسنوى وتاج الدين السبكي والصلاح الصفدى . وملخصها أنه الامام القاضي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن على الشيرازى البيضاي الشافعى كان إماما عالما بعلوم كثيرة نظارا صالحا متعبداً زاهداً صنف التصانيف المشهورة فى أنواع العلوم . منها مختصر الكشاف ومختصر الوسيط فى الفقه المسمى بالغاية والمنهاج ، وشرحه فى أصول الفقه ، وكتاب الطوالع والمصباح فى أصول الدين ، وشرح المصابيح في الحديث ، وشرح مختصر ابن الحاجب فى الأصول ، وشرح الكافية فى النحو ، وشرح المنتخب في الأصول للامام فخر الدين ، وشرح المطالع فى المنطق . توفى رحمه الله تعالى سنة ٦٩١ وقيل سنة ٦٨٥ بتبريز ودفن بها وكذلك نوه بشأنه كثير ممن كتب على هذا الكتاب نفعنا الله بهم ووفقنا لمطالعة كتبهم ، وأذاقنا لذة فهمها وطعم لبابها

خاتمة

واذا علمت هذا وعرفت معنى التفسير واختلاف مشاربه وان فيه سعة تبيح لمفسر القرآن ان يفسره بغير لغته كما يفسره بلغته فلابد أن ننبه هنا على الفرق بين ترجمة القرآن بغير العربية

وبين تفسيره بالترجمة ليكون الناظر فى علم التفسير على بينه فيما اتفق عليه العلماء من جواز تفسير القرآن بغير لغته وعدم جواز ترجمته بلغة أخري ، وان كنا بينا ذلك وفوقه بيانا شافياً فى رسالتنا الأولي المطبوعة سنه ١٣٤٣ ه فى حكم ترجمة القرآن وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية ، وفى الرسالة الثانية التي اشتملت على مافي الرسالة الأولى وزيادة وتم طبعها يوم الأحد ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٥١ ه بمطبعة السيد مصطفي الحلبي وأولاده مع منهج اليقين فى بيان ان الوقف الاهلى من الدين . اعلم ان تفسير القرآن باللغات الأخرى ليس معناه أن يترجم نظمه بلغة أخرى تحاكيه حذواً بحذو بحيث تحل مفردات الترجمة محل مفرداته وأسلوبها محل أسلوبه حتى تتحمل الترجمة ماتحمله نظم الاصل من المعانى المقيدة بكيفياتها البلاغية ، لان هذا مع كونه لاتسعه أى لغة ولا يستطيعه أى لسان بل ولا لغة العرب نفسها التى نزل القرآن على وفقها لو فرض وقوعه ـ ومحال أن يقع ـ لايكون تفسيراً للقرآن وانما يكون هيكلا بشرياً لنظم القرآن يحتاج أبناء لغته الى تفسيره كما يحتاج أبناء لغة القرآن الى تفسيره اذ لاشرح فيه ولا بيان ، وانمـا فيه ابدال لفظ بلفظ آخر يقوم مقامه ونقل معني الأصل كما (هو) من لغة الى لغة أخري ويسمى هذا ترجمة حرفية بالمثل وليس الكلام فيها ، وليس معناه أيضاً أن يترجم نظم القرآن حذواً بحذو بقدر طاقة المترجم وماتسعه لغته ، لان هذا وان أمكن فليس فيه تفسير لالفظ القرآن ولا لمعناه ، وانمـا فيه ابدال لفظ بلفظ آخر يقوم مقامه فى تأدية بعض معناه وليس فى ذلك شىء من التفسير لاشرح مدلول ولا بيان مجمل ولا تقييد مطلق ولا تخصيص عام ولا تأويل متشابه أو مشكل ولا بيان منسوخ أو ناسخ ولا استنباط أحكام ولا توجيه معان ولا كيفية النطق بكلام ولا غير ذلك من الامور التى اشتمل عليها التفسير المتعارف ، وانمـا فيه كما علمت ابدال لغة عربية فصحى بلغة عجمية تخالفها في عموم الدلالة و بلاغة الأسلوب وهذا النوع من الترجمة يسمى ترجمة حرفية بدون المثل وهو محل بحث العلماء . والحق أنه وان جاز فى كلام البشر لايجوز فى كلام الله المقدس لان فيه من فاعليه إهدارا

لنظم القرآن و إخلالا بمعناه واستصغارا لشأنه وانتها كا لحرمته كما بيناه فى الرسالتين المنوه عنهما مع أنه لا ضرورة تدعو اليه ، بل هناك مايقضى بلزوم تعلم اللغة العربية لتفهم القرآن وتدبره والتعبد بتلاوته وقراءة القدر المطلوب منه فى الصلاة ، ولذلك جاءت نصوص العلماء بتحريم ترجمته وقراءته بل وكتابته بغير اللغة العربية واشتد نكيرهم على من تعرض لذلك أشد الانكار صيانة له وتعظيما لشأنه وحفظا لما أمر الله بحفظه ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، ومن الأسف أن أكثر الناس سعاية في هدم هذا العماد المتين هم المتعلمون لغير العمل والمتفقهون لغير الدين ، وأسرعهم محاولة لقلعه المبشرون والملحدون والمترجمون ، ولولا أن الله تعالى تولى حفظه كما قال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وأمر المسلمين بحفظه وقيض له طائفة من الأمة تتحمله وتضبطه بالرواية والتلقي عن الشيوخ خلفا عن سلف وبالكتابة في المصاحف وتدوين العلوم الكفيلة بحفظه وكيفية رسمه والنطق بالفاظه انزل بساحته مانزل بسائر الكتب السماوية من التحريف والتبديل المؤدي الى أفول شمسه « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره »

﴿ كلام القفال وابن قتيبة فى الترجمة ﴾

ونقل عن القفال أن قراءة القرآن بالفارسية مع كونها أفضل اللغات لا تتصور ، قيل له فاذاً لا يقدر أحد أن يفسر القرآن قال ليس كذلك لأن هناك أى فى التفسير يجوز أن يأتى ببعض مراد الله تعالى و يعجز عن البعض أما اذا أراد أن يقرأ بالفارسية فلا يمكن أن يأتى بجميع مراد الله تعالى لأن الترجمة إبدال لفظ بلفظ آخر يقوم مقامه وذلك غير ممكن بخلاف التفسير فلا يقصد منه ذلك انتهى ، والقفال هو محمد بن اسماعيل القفال الكبير الشاشى من كبار أئمة الشافعية كان اماما فى الفقه والحديث والكلام والأصول والفروع والزهد والورع واللغة والشعر أخذ علم الكلام عن الامام الأشعرى كما أخذ الأشعري عنه علم الفقه توفي رحمه الله سنة ٣٦٥ ه وقوله بخلاف التفسير فلا يقصد منه ذلك أى لا يقصد منه الاتيان بجميع مراد الله تعالى ولا ابدال لفظ بلفظ آخر يقوم

مقامه بخلاف الترجمة فان حقيقتها الابدال المذكور ، ومن لوازمه الاتيان بجميع مراد الله تعالى وكلاهما غير ممكن فى القرآن ، لانه كلام عربى ذو نظم خاص بلغ من الكمال فى ترتيب حروفه وتأليف كلماته وبراعة أسلوبه وبلاغة تركيبه وعموم دلالته مبلغا لا يحيط به ولا يقدر على الاتيان بمثله أحد من ذوى اللسن والعلم من إنس وملك وجن ، وقد نوه الله ، بشأنه وزاد فى أحكام نظمه ، فخصه بالتعبد بتلاوته والأخذ بحجة دلالته بخلاف لفظ الترجمة فليس له هذا الاختصاص وماوقع من تراجم المستشرقين وغيرهم فليس ترجمة للقرآن ولا بالغا منه شيئا ولا آتيا منه ومن أحكامه وحكمه إلا على قليل قد تسرب إليه كثير من الخطأ ، وإنما ذلك فى نظر أئمة الدين عبث به وتغيير لنظمه وتبديل لكلماته واخلال بمعناه وانتهاك لحرمته ، ولذلك أنكره العلماء أشد الانكار . ولا نباعد إذا قلنا فيه كما قال صاحب معراج الدراية : من تعمد قراءة القرآن بالفارسية فهو مجنون أو زنديق والمجنون يداوي والزنديق يقتل أى لردته بانتهاك حرمة كلام الله المقدس أو لأن مصلحة الدين تقضي بقتله سدا لذريعة الفساد . وحكي عن ابن قتيبة أنه نفي إمكان الترجمة أي من جهة أنها الابدال المذكور الذى من لوازمه الاتيان بجميع مراد الله تعالي كما أشار إليه القفال يعني وما دون ذلك لا يسمى عنده ترجمة وإن كان ممنوعا شرعا ، وهذا فى الحقيقة لا يخالف ماتقرر من أن الترجمة نوعان : ترجمة بالمثل ، وترجمة بدون المثل وأن غير الممكن إنما هو الترجمة بالمثل وأما بدون المثل فممكنة وواقعة من المجترئين عليها وأنهم يعتبرونها فى نظرهم هيكلا قرآنيا من كلام البشر يحل محل نظم القرآن الكريم بحيث يكون متواصل الحروف والكلمات مرتب السور والآيات كالقرآن سواء ، بل يسمونه قرآنا ويعاملونه معاملة القرآن فيعتادون قراءته ويستغنون بنظمه عن نظم كلام الله المقدس ولا شك أن ذلك لا يجوز شرعا وحاشا كلام الله ومظهر صفته القديمة أن يمثل هذا التمثيل الممقوت ، وغايته أن القفال وابن قتيبة لا يسميان ذلك ترجمة والجمهور يسمونها ترجمة وعلى كل حال فكلاهما غير جائز شرعا ، ولا فرق فى ذلك بين ما تكون حكاية عن المعاني الأصلية وما تكون حكاية عن المعانى المقيدة بكيفياتها البلاغية

﴿ كلام الشاطبي فى الترجمة ورده ﴾

و إذ علمت ذلك تعلم أن ماذكره الامام الشاطبي من جواز ترجمة القرآن باعتبار دلالته الأصلية لايوافق رأى الجمهور ولا رأى القفال وابن قتيبة بل لايخلوا عن شطط فى استنتاجه حكم الترجمة حيث سوى بين امكانها عقلا و بين جوازها شرعا وأوضح ذلك فى موافقاته بأن للغة العربية التى نزل القرآن على وفقها جهتين . إحداهما كونها ألفاظا وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة . والثانية كونها ألفاظا وعبارات دالة على معان خادمة ، والجهة الأولى تشترك فيها جميع الألسنة و إليها تنتهى مقاصد المتكلمين ولا تختص بأمة دون أخرى بخلاف الجهة الثانية فانها مختصة بلغة العرب ومن جهتها لايمكن ترجمة القرآن الكريم ، ثم قال : وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة فى القرآن يعني على هذا الوجه الثانى فاما على الوجه الأول فهو ممكن ؛ ومن جهته صح تفسير القرآن و بيان معناه للعامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه وكان ذلك جائزا باتفاق أهل الاسلام فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي انتهى . وأنت خبير بأن القرآن كما يمكن ترجمته من جهة معانيه الأصلية يمكن ترجمته من جهة معانيه التابعة بقدر طاقة المترجم ومايفهمه من نظم القرآن وتسعه لغته كما تقدم فى نوع الترجمة الحرفية بدون المثل وقد بينا أن ذلك لا تفسير فيه للقرآن وأنه ممنوع ومنكر في كلام الله أشد المنع وانما فيه نقل الكلام من لغة إلى لغة وحكاية المعني الأصلي بلغة أخرى بقدر الامكان ، و إذا لم يكن فى هذا النوع من الترجمة تفسير لمعني الأصل وهى حاكية للمعنى الأصلى والتبعى فى الجملة فلا يكون في ترجمة الامام الشاطبى الحاكية للمعني الأصلى تفسير من باب أولي فكيف يصح قياسها على التفسير حتي تكون جائزة شرعا وكيف تكون جائزة والمفاسد المترتبة على الترجمة الحرفية بدون المثل مترتبة عليها لا حلالها محل أصلها ، وقد يفهم من فحوى كلامه أنها ترجمة معنوية لا حرفية حتي تلزمها المفاسد المذكورة وليس كذلك بل هي معنوية حرفية ، أما كونها معنوية فلانها حاكية للمعانى الأصلية

وكل ترجمة تحكى المعنى الأصلى كله أو بعضه كذلك ، وأما كونها حرفية فلأنها بدل عن اللفظ الدال على تلك المعانى كسائر التراجم الحرفية فهى لاشك نوع من الترجمة الحرفية بدون المثل وحكاية المعني قدر مشترك بين سائر التراجم الحرفية والفرق انما هو بحكاية كل المعني التى لا تمكن فى القرآن وحكاية الجزء الممكنة فيه التى حكم فيها أئمة الدين بأنها لا تجوز صيانة له وتعظيما لشأنه وحفظا لما أمر الله بحفظه ، وحينئذ تكون ترجمة المعني الأصلي التى أشار اليها الشاطبي نوعا من الترجمة الحرفية بدون المثل حكمها كحكم النوع الآخر منها ونصوص العلماء وتوجيهاتهم للمنع جارية فيها وقياسها على التفسير قياس مع الفارق . ومجرد إفهام الترجمة معني القرآن بهذا القدر وعلى هذه الكيفية لأبناء لغتها لا يعد تفسير للقرآن ، لأن التفسير في هذا الباب معناه بيان معنى الأصل المفسر وشرحه بحل ألفاظه فيما يحتاج تفهمه للحل وبيان مراده كذلك وتفصيل معناه فيما يحتاج للتفصيل وتوجيه مسائله فيما يحتاج للتوجيه وتقرير دلائله فيما يحتاج للتقرير ونحو ذلك من كل ماله تعلق بتفهم القرآن وتدبره وهذا شيء وراء حكاية معناه أوجزء معناه بلغة أخري المسماة بالترجمة الحرفية كما يعلم مما فصلناه فى بيان معنى التفسير وشروطه وآدابه واختلاف مشارب المفسرين ، وحينئذ لا يكون نقل هذه المعانى المستفادة من الترجمة الحرفية مطلقا تفسيرا للاصل بالمعني المصحح لقياسه على التفسير بل هو جدير بأن يقاس على رواية القرآن بالمعنى المتفق على منعها للمفاسد التى أومأنا اليها وحينئذ يقال على قياس استنتاج الشاطبي : وقد كان ذلك أي الرواية بالمعني ممنوعا باتفاق أهل الاسلام ، فصار هذا الاتفاق حجة في منع الترجمة على المعنى مطلقا أصليا أو تبعيا كما تقدم ، والي ذلك يشير العلامة ابن القيم في اعلامه وشارح أصول البزدوى ، فى كشف أسراره على ان الرواية بالمعنى تشمل بمفهومها العام الترجمة بلغة الأصل و بلغة أخرى ، وقد اتفق العلماء على منعها فى القرآن واختلفوا فى السنة على تفصيل فى ذلك ، واليك مافى كشف الاسرار شرح أصول الامام البزدوى فى باب شرط نقل المتون :

نقل الحديث ان كان بلفظ محاك للفظ المسموع منه صلى الله عليه وسلم فذلك نقل للحديث ورواية له بلفظه ، وإن كان غير محاك للفظ المسموع ولا مطابق له بل مطابق لمعناه فذلك نقل للحديث ورواية له بالمعنى اه . ولا شك أن هذا المفهوم يشمل النقل بلغة الأصل والنقل بغير لغته وإن اشتهرت الرواية بالمعنى فى الترجمة بلغة الأصل ؛ ثم ذكر الخلاف فى نقل الحديث وروايته بالمعني وأن مذهب الجمهور من الصحابة وغيرهم جوازه بشرط أن يكون الناقل عارفا بدلالة الألفاظ واختلاف مواقعها وأن يكون ذلك فى نوع خاص من السنة وهو مايكون محكما لا يشتبه معناه ولا يحتمل غير ماوضع له للأمن فيه من الغلط أوظاهرا يحتمل غير ماظهر من معناه من عام يحتمل الخصوص أوحقيقة تحتمل المجاز بشرط أن يكون الناقل مع ذلك أيضا عالما بفقه الشريعة حتي يؤمن عليه أن ينقله بعبارة لا تكون مثل الأصل فى الدلالة ، وماعدا هذين النوعين من مشكل ومشترك أومجمل ومتشابه أومن جوامع الكلم التي اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل فيه الرواية بالمعنى وعلل ذلك بما نقلناه عنه فى رسائل الترجمة ثم قال : وتمسكوا في جواز النوعين المذكورين باتفاق الصحابة على قولهم أمرنا رسول الله صلي الله عليه وسلم بكذا ونهانا عن كذا وبأنا نعلم قطعا أن اللفظ غير مقصود فى باب الحديث بل المقصود هو المعني وهو حاصل فلا يلتفت إلى اختلاف اللفظ بخلاف القرآن والأذان والتشهد وسائر ماتعبد فيه باللفظ لأن اللفظ فيها مقصود كالمعنى فلا يجوز الاخلال به كما لا يجوز بالمعنى

وقال بعض أهل الحديث : لا يجوز نقله بالمعني بحال وهو مذهب عبدالله بن عمر من الصحابة ومحمد بن سيرين وجماعة من التابعين وهو اختيار أبي بكر الرازى من أصحابنا . وتمسكوا بأن النقل بالمعني ربما يؤدي إلى اختلال معني الحديث فان الناس متفاوتون فى إدراك معنى اللفظ الواحد كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « فرب حامل فقه إلى غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » ولهذا يحمل كل واحد منهم اللفظ الواحد على معني لا يحمله عليه غيره مع

أنه عليه السلام قد أوتى جوامع الكلم وكان أفصح العرب لسانا وأحسنهم بيانا فلو جوزنا النقل بالمعنى ربما حصل التفاوت العظيم مع أن الراوى يظن ألا تفاوت، ولأنه لو جاز تبديل لفظه عليه السلام بلفظ آخر لجاز تبديل لفظ الراوي أيضا بالطريق الأولى لأن التغيير فى لفظ غير الشارع أيسر منه فى لفظ الشارع ولجاز ذلك فى الطبقة الثالثة والرابعة وذلك يفضى إلى سقوط الكلام الأول لأن الانسان وان اجتهد فى تطبيق الترجمة لا يمكنه الاحتراز عن تفاوت و إن قل فان تفاوتت هذه التفاوتات كان التفاوت الاخير تفاوتا فاحشا بحيث لا يبقى بين الكلام الأول و بين الآخر مناسبة اه * والحاصل أن الرواية بالمعنى فى السنة ممنوعة باتفاق الا فى نوعين المحكم والظاهر و إذا امتنعت الرواية بالمعنى فى السنة لهذا وهو يدور حول المفاسد التي أومأنا اليها فى الترجمة فمنعه فى القرآن أولى وأجدر لمثل هذا وغيره، وظاهر أن الكلام انما هو فى النقل والرواية بالمعنى التى ليست شرحا وتفسيرا وانما هى إبدال اللفظ النبوي بلفظ آخر يحل محله و يؤدى معناه كما يؤخذ من عبارة الكشف أولا وآخرا، ولذلك اتفقوا على جواز شرح الشريعة وتفسيرها بالعجمية والعربية واختلفوا فى رواية السنة بالمعنى ومن قبيلها الترجمة الحرفية وكلاهما ممنوع فى القرآن بتاتا بخلاف الترجمة التفسيرية سواء كانت بحكاية شرح أصل المعنى أو بحكاية شرح المعنى المقيد بالكيفيات البلاغية فانها مع ذلك جائزة كالتفسير سواء اذ لا يقصد منها حينئذ أن تكون قائمة مقام أصلها حتى تلزمها المفاسد المتقدمة خصوصا إذا اتسع الشرح والبيان وغاير أسلوبها أسلوب القرآن . وبالجملة فالتفسير كالترجمة التفسيرية ليس فيهما تعرض للابدال المذكور ولا اقامة لفظهما مقام نظم القرآن بل نظم القرآن باق معهما محفوظ بحفظهما دال على معانيه من جميع نواحيه وقصارى التفسير وترجمته بيان ناحية أو أكثر من نواحيه التى لا يحيط بها الا من أنزله بلسان عربي مبين . وقد يفارق التفسير بلغته الترجمة التفسيرية من وجه آخر وهو أن قاريء التفسير ومتفهمه يجب أن يلاحظ معه نظم الأصل ودلالته، فاذا كان مطابقا أقره واذا كان خطأ نبه

وإذا كان خطأ نبه عليه وأصلحه واذا فرض أنه لم يتنبه له هـذا القاريء تنبه له قارىء آخر بخـلاف قارىء الترجمة التفسـيرية فانه لايسنى له ذلك لجهله بنظم القرآن ودلالته بل كل مايفهمه ويعتقده أن هذه الترجمة التي يقرؤها ويتفهم معناها تفسيرللقرآن ، وأما تحقيقه بالرجوع الى الاصل والتطبيق عليه كلمة كلمة وجملة جملة فليس فى مقدوره مادام لم يعرف لغة القرآن وعلى كل حال فالخطأ واقع في نفس التفسير العربى وفى ترجمته لافي نظم القرآن ودلالته ، بخلاف الترجمة الحرفية سواء كانت بحكاية معنى الأصل مطلقا أومقيدا فان الخطأ فيها يعتبر خطأ فى معناه لانها حاكية له حالة محل لفظه قائمة مقامه في تأدية معناه بقدر الامكان فلذا كان الخطأ فيها غـير محتمل ولزمها من المفاسد ماذكرناه آنفا من اهدار نظم القرآن واستصغار شأنه وانتهاك حرمته بخلاف الخطأ في التفسير وترجمتـه فانه محتمل ولعدم احلاله محل أصله لا يلزمه شيء من هذه المفاسد على أن الترجمة التفسيرية ليست فى الحقيقه ترجمة للقرآن وانما هى ترجمة لشرحه وتفسيره ، ولذا يجب أن تكون عبارة الترجمة فيها محاذية لعبارة التفسير بحيث لاتختلف عنها الا بأن هذه بلغة وتلك بلغة أخرى فهي ترجمة حرفية للتفسير وترجمة تفسيرية للقرآن وبذلك يتضح أن اعتبار هذه الترجمة التفسيرية ترجمة للقرآن تساهل في التعبير وتجوز فى الاستعمال وقع عليه اصطلاح طائفة من الناس وما كان ينبغى لأن هذا اللفظ أى (ترجمة القرآن) يوهم أن ما فى الترجمة مماثل المترجم وذلك نقص في حقه تعـالي لاينبغى النطق به الا فى مقام التعليم للضرورة وتقدم انه لا يقال فى القرآن الـكلام : حادث أو مخلوق تحاشيا من الذهاب الي المعنى القديم ·

ثم الترجمة التفسيرية التى رخص للمفسر أن يفسر بها القرآن الـكريم يجب أن تكون على شريطة التفسير لا يعول عليها الا اذا كانت مستمدة من الاحاديث النبوية وعلوم اللغة العربية والأصول المقررة فى كتب الشريعة الاسلامية بأن يعتمد المترجم فى استحضار معنى الاصل على تفسير عربى مستمد من ذلك أما

اذا استقل برأيه فى استحضار معني القرآن أو اعتمد على تفسير ليس مستمدا من تلك الاصول فلا تجوز ترجمته ولا يعتد بها كما لا يعتد بالتفسير العربى اذا لم يكن مستمدا من تلك المناهل معتمدا على هاتيك الأصول خصوصا فيما يتعلق بالاحكام الشرعية .

﴿ الفرق بين الترجمة الحرفية والتعريف اللفظى ﴾

فان قلت ان الترجمة الحرفية الحاكية لمعنى الأصل مطلقاً أو مقيدا كالتعريف اللفظى الذى يقال على الشيء لاستحضار صورته ومن شأنه أن يكون برديف أشهر من المعرف كالاسد والانسان والقرآن تعريفا للغضنفر والبشر والتبيان وقد عدوا ذلك تفسيرا للمعرف بالنسبة لمن يجهل وضعه من ابناء لغته فكذلك الترجمة بالنسبة لمن لايعرف لغة أصلها من أبنائها . قلنا فرق بين الترجمة و بين التعريف اللفظي وان كان لها به نوع شبه فان التعريف اللفظى مرتبط بالمعرف مسوق لبيان دلالته لا لتفسير معناه فانه حاصل فى ذهن من سيق له بصورته الاجمالية قبل التعريف والتعريف لم يفده حصولا ولا شرحا وتفصيلا وانما أفاده استحضار صورته الحاصلة كما هى فى خزانته ، ولذا قيل ان مآله التصديق بان هذا اللفظ كالغضنفر مثلا موضوع لمعني الأسد المعرف لدلالته والمقيد لاستحضار صورته والترجمة بالنسبة لأبنائها الذين يجهلون لغة أصلها ليست كذلك اذ لاارتباط لها عند قارئها بلفظ الأصل ودلالته ولا هي مقوله عليه لاستحضار صورته وانما هى بدل عنه مستأنف لتحصيل معان جديدة بالنسبة لقارئها ، وغايته أن القارىء لها من ابناء لغتها يعتقد أنها حاكية لمعانى أصلها بدون بيان وتفسير كما تقدم .
والحاصل أن بيان خفى الدلالة أو مجهولها بواضح الدلالة أو معروفها انما يعتبر تفسيرا للدلالة اذا كان مقولا عليه متحققا معه في قالب واحد حتي ينتسب اليه انتساب المفسر لمفسره كما فى التعاريف اللفظية وما أشبهها بخلاف التراجم فانها حالة محل أصلها يدل عنه والبدل على نية الطرح كما يقوله أئمة اللغة وفى القرآن

على مايقوله أئمة الدين اهدار لنظمه، واستصغار لشأنه، وانتهاك لحرمته واخلال بمعناه وذلك ممنوع ومنكر أشد الانكار وليس فيها شيء من التفسير والبيان ولا هناك ضرورة راجحة تدعو اليها كما بيناه فى رسالتى الترجمة . وقد علمت ان التفسير لغة وعرفا يشمل بيان وضع اللفظ مع بيان مراده كتفسير الظلم بالشرك والصراط بالطريق ولذلك عدوا من حاجيات التفسير علم اللغة الذى به يعرف شرح مفردات الالفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع حقيقية أو مجازية و بحسب المعني الظاهر أو غيره كما قيل فى قوله تعالى « ان ربك لبالمرصاد » أن تفسيره بحسب المعنى الظاهر الرقيب وتأويله بحسب غيره التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه وقواطع الادلة تقضى بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ فى اللغة، فهذا ونحوه يشمله التفسير لغة وعرفا والتراجم ليست كذلك بل هى كما عرفت ابدال لفظ بلفظ آخر يقوم مقامه في تأدية معناه كلا أو بعضا فان كانت حرفية لا تفسير فيها فلا تجوز ، وان كانت تفسيرية فحكمها كالتفسير بلغة أصله وقد علمت ان مجرد أفهامها لابناء لغتها مع حلولها محل أصلها وابداله بها لا يسوغ وضعها واستعمالها للمفاسد التى أشرنا اليها والله أعلم

وانما أطلنا الكلام فى هذا الموضوع لأن مسألة الترجمة فيها نزاع قائم ولايضاح ما أجملناه في رسالتى الترجمة أوغفلنا عنه والله الهادى الي سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والناصر الحق بالحق، والهادى الى صراطه المستقيم . تم تحريره فى جمادي الأولى سنة ١٣٥١ هـ على يد أفقر العباد وأحوجهم الي مولاه الرؤوف محمد حسنين مخلوف العدوى المالكي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه واخوانه المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلي آله وصحبه وسلم .

« تكملة »

بعد الفراغ من هذه العجالة وعند طبعها رأيت بالملزمة الأخيرة صحيفة باقية بيضاء فرأيت أن أملأها بالجملة الآتية : روي الطبراني والبيهقي عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق ، فانه سيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم » . حديث صحيح كما نبه عليه العزيزى شارح الجامع الصغير

والمراد بقراءته بلحون العرب وأصواتها تحسين القراءة والترنم بالاصوات الحسنة التى لا يختل معها شيء من الحروف عن مخرجه ، لأن ذلك يضاعف نشاط القارىء للقراءة والسامع للاصغاء ، والمراد بلحون أهل الكتابين - اليهود والنصارى - تطريبهم وتمطيطهم للحروف بنغمات لا تتميز معها الكلمات القرآنية ، ومثلهم أهل الفسق من المسلمين الذين يخرجون القرآن عن موضعه بالتمطيط والتطريب بحيث يزيد أو ينقص حرفا أو غنة أو مدا أو صفة من صفاته ، فان ذلك حرام اجماعا ، ومثلهم من يتعجل بتلاوته حتى يخرج عن شرط ادائه كما قال ابن الجزرى :

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الاله أنزلا وهكذا منه الينا وصلا

ومن تأمل فى مغزى هذا الحديث الشريف أمراً ونهيا علم أنه لا يجوز التعرض للقرآن وعربيته بما يؤدى الي تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقص فى حروفه أو كلماته أو صفة من صفاته ، وأنه يجب التمسك به وتجويد قراءته كما أنزل ، لانه حبل الله المتين من اتبعه كان على الهدى ، ومن تركه كان على ضلالة . وقد علمت أن القرآن نزل بلغة العرب ، وقد وعد الله تعالى بحفظه وأمرنا بالمحافظة عليه رواية

وكتابة وشرحا وبيانا وقد اتفق المسلمون على ذلك ، وكل واحد من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والأصوليين وغيرهم قام على ثغر من ثغوره . ولا شك أن ترجمة القرآن مؤدية الى تغييره وتبديله واهدار لفظه واخلال معناه ، وقد علمت أن الدعوة الى الاسلام لا تتوقف على ترجمته ولو كانت تتوقف على ذلك لنطق بها القرآن وبينته السنة مع أن الوارد عن الله ورسوله أن القرآن عربى فى السماء والارض وفى الدنيا والآخرة ، سنة الله فى شريعته ، ولن تجد لسنة الله تبديلا

﴿ جدول الخطأ والصواب ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢	١٨	وضعو	وضعوا
٤	٤	يشنف	مايشنف
٧	٢٣	الكتاب	الكتابة
٨	٦	مما	ما
٨	١٢	و بعضا	و بعضها
١١	٥	الر وحانى	الروحانية
١٦	١٦	والكلام	الكلام
٢٢	١٠	وان الله	ان الله
٢٣	٥	كفرط	لفرط
٢٤	٢٠	وهدى	وهديا
٢٨	١٣	والتأويل	والتفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا المعنى والتأويل
٣٣	٣	فسبيله	اذ الطريق
٣٣	٥	اللذين	الذين
٣٣	٧	ومن	وما
٣٥	١٢	توضيح	توضح
٣٥	١٣	القرءات	القراءات
٣٦	١٧	ببينات	ببيان
٣٨	٢٣	اتصل	تصل
٤٤	٣	وبراعة	وبداعة
٤٥	٢	يخلوا	يخلو
٤٨	٢٣	يجب	يتسنى له

فهرست المدخل المنير